١٠٩٠
1090
HARLEQUIN
كبير
دار م. النحاس

liilas . com

دفع الثمن

بيني جوردان

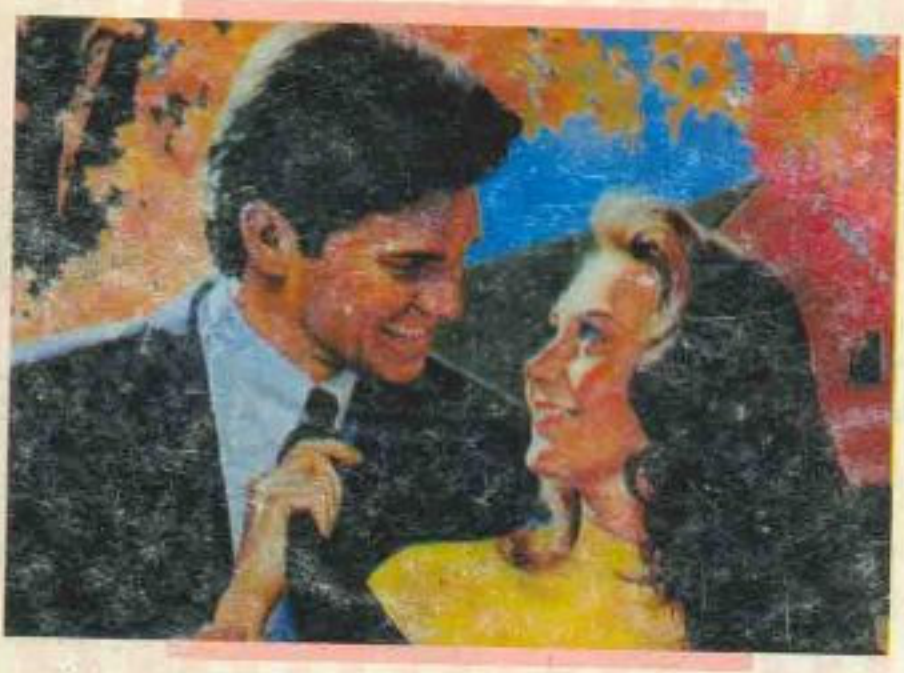

hebawebas

liilas . com

دفع الثمن

بيني جوردان

لقد اتهم جايمس وارن تانيا بانها تتعمد تحطيم زواج شقيقته. وأقسم على أن يجعلها تدفع الثمن.

كانت تانيا مجرد متفرجة بريئة على شبكة الإكاذيب والخداع التي كانت تحيط بزواج فوريس، ولكنها اذا لم تتمكن من ان تجعل جايمس يصدق ذلك، فليس امامها الا ان تودع امالها في تاسيس حياة جديدة لها ولابنتها في قرية ابليفورد الهادئة.

والأسوأ من ذلك ان جايمس كان من ذلك النوع من الرجال الذي كان يمكن ان يجذبها لو كانت امورها غير ما هي عليه.

لبنان: ٢٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: [illegible] - الاردن: ١,٥ دينار - [illegible]: ٢ دينار

hebawebas

liilas . com

دفع الثمن

أدركت فجأة، وقد اتسعت عيناها ذاهلة، أنه اخرج من جيبه دفتر شيكات ثم فتحه وهو يقول هازئاً وقد لوى شفتيه احتقاراً:

«فهمت، حسناً، ربما هذا سيساعد في اقناعك. وكما ترين، فقد جئت مستعداً لذلك، يا سيدة كارتر. ذلك أنني بطبيعة الحال، لم اكن اتوقع ان توقفي علاقتك بسبب قلب طيب أنا واثق من انك لا تملكينه، هل نقول عشرة آلاف جنيه؟»

hebawebas

الفصل الأول

انتهى تنظيم المعروضات في واجهة المتجر، ونزلت تانيا من الواجهة، ثم خرجت إلى امام المتجر لتقف على الرصيف وتمعن النظر في ما قامت به.

ذلك ان المدارس ستفتح ابوابها بعد انتهاء العطلة الصيفية، وذلك بعد اسبوعين، ومن ثم كان عليها أن تسرع في العمل لكي تتمكن من فتح متجر احذية الأطفال هذا في الوقت المناسب، وقد نجحت في ذلك بعزيمة أدهشتها هي قبل الآخرين. ولكنها عندما اتخذت قراراً بالقيام بهذا العمل، كان هنالك كثيرون حولها حاولوا الاستفادة من سذاجتها وعدم خبرتها، متظاهرين بمساعدتها والاهتمام بها.

لم تعد تستطيع إحصاء عدد الناس الذين كانوا تنبهوها إلى انها إنما تضيع وقتها... ذلك ان فتح متجر يقتصر على أحذية الأطفال هو الجنون بعينه، خصوصاً وقد اختارت العمل في مدينة صغيرة من اقليم شيشاير.

ذلك ان كل انسان كان يعلم ان الزبون يريد ان يشتري كل لوازمه بسرعة ومن مكان واحد، مفضلين لذلك المتاجر الضخمة الواسعة التي تبيع كل شيء.

لقد استمعت تانيا اليهم، ولكنها وبكل عناد، لم تبدل من موقفها، فقد كانت هي نفسها والدة، وكانت تعلم انها عندما تريد شراء أحذية لابنتها لوسي فهي تفضل أن تذهب إلى

www.liilas.com hebawebas

متجر خاص مريح وتختار ما تريده مستعينة برأي مساعد يعرف ما يحتاج إليه الطفل... إذ يكون قد تدرب جيداً على قياس القدم وتقديم النصائح الجيدة بهذا الشأن.

أما بالنسبة إلى قرارها العمل في هذه المدينة الهادئة، حسناً، كان ذلك لعدة عوامل، أهمها انها كانت ورثت هذا المتجر من عمة لوالدها لم تكن تعرفها، وكان متجراً للقماش من الطراز القديم.

كان بإمكانها أن تبيع المحل هذا كما هو، كما نصحها كثيرون، ولكنها رأت في هذه المدينة الصغيرة ابليفورد مكاناً تهرب إليه مع ابنتها من زحام المدينة الكبيرة وشقتهما الضيقة غير الصحية التي كانتا تقيمان فيها.

نظرة واحدة منها إلى مدينة ابليفورد هذه بجمالها الريفي وهوائها النقي والحقول التي تحيط بها واطفالها الذين اكسبتهم تلك البيئة الصحية، نضارة وحيوية، وهو ما كانت دوماً تحلم به لأجل ابنتها لوسي، عند ذلك اتخذت قرارها.

وحيث ان العمل الوحيد الذي كانت تحسنه هو الذي كانت تدربت عليه أثناء عملها في متجر أحذية في المدينة، كان من الطبيعي ان تفكر في إعادة فتح متجر عمتها ولكن للاتجار بأحذية الأطفال فقط.

فهي لم تندفع بهذا القرار بخفة وطيش رغم ما قد يفكر فيه الآخرون.

خلال ستة أشهر من تلقيها النبأ المذهل بأن لها عمة لوالدها لم تسمع بها يوماً، قد ماتت، وأنها وريثتها الوحيدة، منذ ذلك الحين كرست نفسها روحاً وجسداً لكي تسير بمشروعها هذا إلى النجاح.

دخلت معهداً حكومياً حيث قامت بدورة تدربت فيها على إدارة الأعمال.

كما ان ابنتها لوسي كانت في العاشرة من عمرها وتبدو اكبر من سنها ما جعلها تخشى عليها من الفساد الأخلاقي الذي يحويه بيئة المدن الكبرى.

وربما كان ذلك لأنها هي نفسها كانت نشأت في بيئة ريفية، فكان في عودتها إلى بيئة مماثلة ما يعبر عن رغبة دفينة مازالت في اعماقها.

وقد فات الأوان الآن للأسف لعدم معرفتها بعمتها تلك. لا شك أنه كان للعمة اسبابها الخاصة التي جعلتها لا تتعرف إليها، وتركها تنشأ معتقدة أنها وحيدة في هذه الحياة، وذلك بعد ان اختطف الموت والديها في حادث اصطدام وهي في الثانية عشرة في عمرها، ما جعلها تنتقل من ظل والدين محبين إلى رعاية المحسنين في مياتم يتعاقب عليها سلسلة لا تنتهي من الناس ما جعلها تنطوي على نفسها ما زاد من شعورها بالوحدة.

كانت تلك سنوات لم تكن تريد أن تتذكرها، سنوات توجت بولادة لوسي التي أصبحت عزيزة غالية عليها رغم أنها لم ترغب بها في البداية.

ذلك انها فجعت، وهي في الثامنة عشرة من عمرها، بفتى عقد زواجه عليها في أحد مكاتب الزواج بينما لا تكاد تعرفه بل فرض نفسه عليها فاستجابت له هرباً من وحدتها وحياتها الموحشة.

كانا قد تعارفا في حفلة ذهبت إليها مع زميلة لها في العمل، وكانت تعيش في ذلك الوقت في شقة مع ثلاث فتيات أخريات لهن نفس وضعها.

www.liilas.com

لكن ذلك الفتى الذي كانت قد ندمت على الزواج منه في نفس اللحظة التي تم فيها ذلك الزواج، ذلك الفتى سرعان ما ذهب ضحية حادث دراجة بخارية لتكتشف بعد ذلك أنها كانت حاملاً منه.

وهكذا أمضت فترة الحمل تتملكها المخاوف واليأس والعذاب إزاء مسؤولية لم تكن تتوقعها وذلك إلى اللحظة التي وضعت فيها الطيبة، لوسي بين ذراعيها.

عند ذلك أدركت ان عليها أن تحتفظ بابنتها هذه مهما كلفها ذلك من صعوبات ومعاناة، كان هناك الحرمان والمشقات، لقد كرهت الحاجة التي كانت تضطرها إلى تقبل المساعدة الحكومية، ولكن لم يكن لديها خيار في الأمر.

وحالما أصبحت لوسي في سن الدراسة، اتخذت لنفسها عملاً نصف نهاري، وبشكل ما، افلحت في العثور على نوع من الإستقرار لحياتها، ولكن ضغط أحوالها المالية السيئة كان مستمراً يستنزف منها القوى.

وما اكثر ما كانت تنظر فيه إلى لوسي وهي ترتدي الثياب المستعملة والتي كانت تبالغ في العناية بها من غسل وكي، فكانت تتلهف إلى أن تكسو ابنتها هذه بملابس جديدة تشتريها لها، متلهفة إلى أن تمنحها ولو جزءاً من الرعاية والدلال الذي يتمتع به غيرها من الأطفال.

ولشد ما كانت تتألم عندما ترى أحياناً نوعاً من الكآبة والشوق في عيني ابنتها.

ولم تكن وحدها الوالدة التي تعيش دون زوج في ذلك المجمع السكني الضخم، فقد كان لها عدة صديقات من

الوالدات الأخريات، وكانت تعلم انها ستفتقد صحبتهن الآن بعد أن استقرت مع ابنتها في أبليفورد.

كانت قبل رحيلها، قد شدّدت عليهن الدعوة إلى زيارتها هناك، متلهفة إلى أن لا تفقد الإتصال مع أولئك الناس القلائل الذين استطاعت أن تعقد معهم أواصر الصداقة.

جميعهن كانت لديهن قصص تعسة شقية، فتلك التي هجرها زوجها مع اطفالها، وأخرى طردها من بيتها زوج كرهها، وجميعهن، مثلها، قد تملكتهن مشاعر عنيفة محتدمة لتجنيب أولادهن الآلام التي عانينها هن، وهدايتهم إلى عالم أفضل واكثر رحمة وحكمة.

نعم، انها ستفتقد مساندتهن لها وصداقتهن، وسيكون من الصعب عليها اتخاذ بدلات لهن. فهي لم تكن تتخذ اصدقاء بسهولة، وهذا تراث آخر من ماضيها، فهو خوف متعمق الجذور من أن تعود فتفقد من تحب وما يتبع ذلك من آلام ومعاناة.

كلا، فقد كان اتخاذها هذه الخطوة الخطرة في الحياة لأجل لوسي فقط، ولأجل لوسي كانت تريد في الحياة اكثر بكثير مما نالته هي، إنما ليس من الضروري أن يكون ذلك في الأمور المادية، ذلك أنه سيمضي وقت طويل قبل أن يسمح لها عملها بالعيش في رفاهية كما لم يتوفر لهما في المدينة.

ولكن بإمكان لوسي أن تتمتع هنا، على الأقل، ببيئة اكثر نظافة وهواء اكثر نقاء في تلك الآفاق المتسعة.

كذلك كانت قد اخبرت والدتها أنها في المدرسة هنا، تلميذات صفها يبلغ عددهن العشرين، بينما في مدرستها

www.hilas.com

لكن ذلك الفتى الذي كانت قد ندمت على الزواج منه في نفس اللحظة التي تم فيها ذلك الزواج، ذلك الفتى سرعان ما ذهب ضحية حادث دراجة بخارية لتكتشف بعد ذلك أنها كانت حاملاً منه.

وهكذا أمضت فترة الحمل تتملكها المخاوف واليأس والعذاب إزاء مسؤولية لم تكن تتوقعها وذلك إلى اللحظة التي وضعت فيها الطيبة، لوسي بين ذراعيها.

عند ذلك أدركت ان عليها أن تحتفظ بابنتها هذه مهما كلفها ذلك من صعوبات ومعاناة، كان هناك الحرمان والمشقات، لقد كرهت الحاجة التي كانت تضطرها إلى تقبل المساعدة الحكومية، ولكن لم يكن لديها خيار في الأمر.

وحالما أصبحت لوسي في سن الدراسة، اتخذت لنفسها عملاً نصف نهاري، وبشكل ما، افلحت في العثور على نوع من الإستقرار لحياتها، ولكن ضغط أحوالها المالية السيئة كان مستمراً يستنزف منها القوى.

وما اكثر ما كانت تنظر فيه إلى لوسي وهي ترتدي الثياب المستعملة والتي كانت تبالغ في العناية بها من غسل وكي، فكانت تتلهف إلى أن تكسو ابنتها هذه بملابس جديدة تشتريها لها، متلهفة إلى أن تمنحها ولو جزءاً من الرعاية والدلال الذي يتمتع به غيرها من الأطفال.

ولشد ما كانت تتألم عندما ترى أحياناً نوعاً من الكآبة والشوق في عيني ابنتها.

ولم تكن وحدها الوالدة التي تعيش دون زوج في ذلك المجمع السكني الضخم، فقد كان لها عدة صديقات من

الوالدات الأخريات، وكانت تعلم انها ستفتقد صحبتهن الآن بعد أن استقرت مع ابنتها في أبليفورد.

كانت قبل رحيلها، قد شدّدت عليهن الدعوة إلى زيارتها هناك، متلهفة إلى أن لا تفقد الإتصال مع أولئك الناس القلائل الذين استطاعت أن تعقد معهم أواصر الصداقة.

جميعهن كانت لديهن قصص تعسة شقية، فتلك التي هجرها زوجها مع اطفالها، وأخرى طردها من بيتها زوج كرهها، وجميعهن، مثلها، قد تملكتهن مشاعر عنيفة محتدمة لتجنيب أولادهن الآلام التي عانينها هن، وهدايتهم إلى عالم أفضل واكثر رحمة وحكمة.

نعم، انها ستفتقد مساندتهن لها وصداقتهن، وسيكون من الصعب عليها اتخاذ بديلات لهن. فهي لم تكن تتخذ اصدقاء بسهولة، وهذا تراث آخر من ماضيها، فهو خوف متعمق الجذور من أن تعود فتفقد من تحب وما يتبع ذلك من آلام ومعاناة.

كلا، فقد كان اتخاذها هذه الخطوة الخطرة في الحياة لأجل لوسي فقط، ولأجل لوسي كانت تريد في الحياة اكثر بكثير مما نالته هي، إنما ليس من الضروري أن يكون ذلك في الأمور المادية، ذلك أنه سيمضي وقت طويل قبل أن يسمح لها عملها بالعيش في رفاهية كما لم يتوفر لهما في المدينة.

ولكن بإمكان لوسي أن تتمتع هنا، على الأقل، ببيئة اكثر نظافة وهواء اكثر نقاء في تلك الآفاق المتسعة.

كذلك كانت قد اخبرت والدتها أنها في المدرسة هنا، تلميذات صفها يبلغ عددهن العشرين، بينما في مدرستها

www.liilas.com

في المدينة كن فوق الستين، كما كان التلاميذ هنا يستمتعون باللعب في ملاعب فسيحة وساحات للعب التنس ومركز محلي للرياضة وذلك بعكس عما هو عليه الحال في المدينة، نعم، لقد كان قرارها صائباً مهما ظن الآخرون الذين كانوا يهزون رؤوسهن متوقعين لها الفشل.

قد لا يكون بإمكانها أن توفر لابنتها الخلفية العاطفية السعيدة التي يتمتع بها طفل لديه والدين يسبغان عليه حبهما، ولكنها على الأقل تقوم نحوها بكل ما في وسعها، كما أن الزواج ليس دوماً ذلك الوضع السعيد المشبع للمشاعر الباعث على الإستقرار كما يتصوره غير المتزوجين.

فهذا نيكولاس فوربس مثلاً، والذي كان مستشار عمتها القانوني من قبل وأصبح الآن مستشارها هي، فإن له زوجة رائعة الجمال والتي هي مناسبة بالنسبة لرجل أعمال بالغ الثراء وولدين حسنا الصحة، وعمل ناجح، ومنزل في اكثر ضواحي المدينة غنى، وهو منزل كانت تانيا سمعت شائعة تقول إن شقيق الزوجة قدمه لهما هدية زفاف. ومع ذلك كما تقول الشائعات لم يكن نيكولاس فوربس وزوجته سعيدين مطلقاً.

ولم تكن هذه شائعات فقط بل إن نيكولاس نفسه كان قد أشار إلى ذلك مرات كثيرة امامها وذلك قبل أن توقفه عند حده موضحة له أن آخر شيء تريده هو أن تورط نفسها في الحياة الخاصة لأي شخص كان، وأن اكره شيء لديها، في أي رجل هو أن يخون الثقة والسرية التي بين شخصين ملتزمين وان يتحدث أحدهما عن مشاكلهما الشخصية إلى

شخص غريب لا علاقة له بالأمر من ناحية الإستشارة أو الإرشاد. هذا إلى انها لا تكاد تعرف نيكولاس فوربس، فهو بالنسبة إليها، كان مجرد مستشار قانوني اعتاد ان يرشدها بكل دقة وتشجيع ودفء في مشاكل حياتها العملية ما جعلها تظن ان ربما السنوات التي أمضتها بعيدة عن الرجال، قد أصبحت الآن شيئاً عليها أن تتخلى عنه، لقد كانت تكن لنيكولاس المودة بصفته إنساناً، ولكن عاطفياً... كلا، فقد كانت ذات مناعة ضد الرجال وكان هذا ما تريد أن تبقى عليه.

كانت امرأة ذكية، فقد كانت تعلم أن ليس كل الرجال مفروضاً بهم أن يكونوا مثل والد لوسي، والذي هو أيضاً ربما كان يدرك النضج والحكمة لو كان ما يزال على قيد الحياة.

لقد حاولت جهدها كيلا تنقل مخاوفها تلك وكراهيتها للرجال إلى ابنتها، فقد كانت عاطفة الأمومة تدفعها إلى ان تطلب لابنتها كل ما كانت هي حرمت منه ومنها الثقة بالنفس، والحرية، والثقة بالآخرين ما يجعلها قادرة على اختيار شريك حياتها عندما يحين الوقت لذلك، وذلك بشكل لم تستطعه هي.

كانت تريد للوسي كل شيء، السعادة النجاح، الأمن. ولم تكن تشجع ابنتها مطلقاً على اعتبار نفسها أقل انسانية كونها فتاة. كان كل ما تريده لها هو أن تكون مستقلة عن أي شخص آخر.

وكانت لوسي طفلة ذكية. كما كانت تألف الآخرين وتكوّن اصدقاء بسهولة، وهو ما كانت تختلف فيه عن والدتها.

www.hilas.com

لم تكن تخاف على ابنتها الوحيدة في بيتهما الجديد. فقد سبق وعقدت صداقة مع فتاة أخرى بيتها قريب منهما، وكان والداها يديران محلاً للديكور، كان والدها هو نفسه الذي أحال شقتهما فوق المتجر من شكلها القديم الكئيب بطرازه الذي يعود إلى القرن الثامن عشر، احالها إلى مكان بهيج بالورق المنقوش المشرق الألوان الذي ألصقه بالجدران والسقف.

كان توم وزوجته آن زوجين حسنا الخلق في أواخر الثلاثينات من عمرهما، وسوزان هي اصغر ابنائهما، فقد كان لهما ابنان آخران.

كان الزوجان قد رحبا بتانيا وابنتها وقدما اليهما نصائح ثمينة كما فتحا لهما باب بيتهما على الرحب والسعة.

كانت لوسي الآن في منزل جيرانهم آل فيلدنغ أولئك وقطعت تانيا تاملاتها لواجهة متجرها لكي تنظر إلى ساعتها.

آه، لقد تأخرت تماماً وستظن لوسي انها نسيتها، فقد كان عملها في واجهة المتجر قد استغرق وقتاً اكثر مما كانت تتوقع. وسرعان ما كانت تغير ملابسها لتهرع إلى منزل آل فيلدينغ.

كانت آن فيلدينغ قد تلطفت ودعتها مع ابنتها لتناول الشاي معهم، وهي دعوة قبلتها تانيا مترددة إذ لم تكن تريد أن تستغل كرم آن فيلدينغ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت تعلم انها لم تصبح بعد في وضع يمكنها من ان ترد الضيافة.

في الواقع، كان يمكن أن ترفض هذه الدعوة لولا ما حدث الليلة الماضية عندما طرق بابهما زائر فجأة هو مستشارها القانوني نيكولاس فوربس قائلاً انه كان ماراً من هذا الطريق فخطر في باله أن يقوم بزيارة لهما.

لم تكن تانيا معتادة على استقبال رجال في بيتها، لا ولا ابنتها لوسي، وحاولت إخفاء ضيقها وكراهيتها لذلك. وعلى كل حال كان نيكولاس فوربس بالغ الرقة واللطف والعودة. ولكن...

أتراها كانت مخطئة في تصورها أنه كان يحدّق في قميصها القطني وبنطلونها الجينز، وذلك بطريقة ان لم تكن تعبر عن شيء، إلا انها لم تكن بريئة كذلك.

لقد مضى عليها زمن طويل منذ كانت فتاة غير مجربة في الثامنة عشرة، فهي تعرف عن البشر اكثر بكثير الآن، وهي في التاسعة والعشرين، مما كانت عليه في ذلك الحين، اما الحب فكان شيئاً تجنبته على الدوام، وقطعته من حياتها، هذا ما ارتضته لنفسها.

لم تكن تفهم ما يجعل رجلاً مثل نيكولاس له مثل زوجته كلاريسا الجميلة، يجعله يهتم بامرأة مثلها، لا يمكنها أن تشتري لنفسها ثوباً جميلاً لائقاً، كما لا تستطيع ان تذهب إلى صالون تجميل أو مزينة شعر، كما ان يديها الخشنتين العمليتين لم يكن فيهما أي جمال أو رقة... هذا إلا إذا كان السبب هو كونها تعيش وحيدة دون رجل، وكان هناك معلم لوسي ذاك الذي كان زارها في بيتها بدعوى مناقشة عملها.

وكان هنالك غيره ممن لا يحصون عدداً. جميعهم رجال

www.liilas.com

محترمون دون شك، ولكنهم جميعاً كانوا بالنسبة إليها رجالاً غير مخلصين لنسائهم وأسرهم.

شخصياً لم تكن تفهم السبب الذي يدفع نيكولاس فوربس إلى قضاء بعض الوقت معها، فهي لم تكن جميلة مثل زوجته، وكانت تانيا قد رأتها مرة في مكتبه حيث اندفعت كالعاصفة متجاهلة تانيا، وكانت امرأة شقراء جميلة في أوائل الثلاثينات، وعليها ملامح فتاة صغيرة مدللة.

لم تنجذب تانيا إليها بشكل خاص وهي تسمعها تحاور نيكولاس محاولة اقناعه بأن يعيد زخرفة غرفة جلوسهم ما جعلها تثق بانهما هما الاثنتين متناقضتان تماماً.

لقد ساورها الشك في ان كلاريسا فوربس قد شعرت بحاجة إلى أي شيء في حياتها. فملابسها كانت غالية الثمن، شعرها ويداها وكل شيء فيها كان ينطق بأن كلاريسا كانت امرأة جميلة مدللة همها الوحيد في الحياة هو نفسها وحاجاتها الشخصية.

كانت قصيرة القامة ذات عينين زرقاوين مستديرتين ووجه بالغ الجمال، ما جعل تانيا الطويلة القامة ذات الشعر البني الكث غير المصفف، بثيابها القطنية الرخيصة، من بنطلون وقميص، جعلها تشعر بالضيق والتعقد من الفرق بينهما.

وربما لأنه لم يخبرها أحد، كانت تانيا غير واعية إلى جمالها الكلاسيكي بوجهها البيضاوي ووجنتيها العاليتين، وملامحها المنسجمة.

ولأن تانيا لم تكن ترغب في اجتذاب الرجال، كانت

تفترض انهم لا يشعرون بانجذاب نحوها. ذلك انها لم تكن لديها فكرة عن ان عدم اهتمامها بهم وبمحاولة اجتذابهم هو ما يجعلهم ينجذبون اليها، وقد اشتد فضولهم وتصميمهم على اختراق ذلك الجدار الذي احاطت نفسها به.

كانت تخلصت من نيكولاس فوربس بأسرع ما امكنها ذلك، موضحة له بحزم أنها تعتبر هذا الوقت بشكل خاص مكرساً لابنتها لوسي، رافضة على الفور ما كان عرضه عليها من أن يأخذها إلى أحد المطاعم لكي يتحدثا بشؤون خاصة.

لقد أوضحت له تماماً أنه بالنسبة اليها، مجرد مستشار قانوني لا علاقة بينهما سوى علاقة العمل، وأنها لا تريد أي علاقة شخصية معه خصوصاً تلك التي تتضمن احاديث عن زواجه والتي في رأيها، لم تكن تؤدي سوى إلى المشاكل.

حتى لو كانت الصداقة التي عرضها عليها تتضمن زوجته كلاريسا، وحتى لو فتحت هذه لها ابواب بيتها مرحبة بها بين أصدقائها، واضح ان هذا لن يكون، فإن تانيا تعلم انها لن تشعر بالإرتياح معهم، فإن لآل فوربس حياتهم البالغة الرفاهية، وكانت آن فيلدينغ قد ذكرت لها ان شقيق كلاريسا هو رجل بالغ الثراء ويملك شركات عديدة ما جعله يزوّد نيكولاس بكثير من فرص العمل.

فقد قالت: «كنت مع نيكولاس في المدرسة، وربما ما كان لي أن اقول ذلك، ولكنني اظنه، بالنسبة إلى زواجه، قد أخذ يكتشف أن زواجه من فتاة غنية ليس دوماً طريقاً مفروشاً بالورود، ذلك ان كلاريسا مدللة جداً، وجايمس شغوف بها ويدللها إلى أقصى حد، ومن الغريب أن يبلغ

www.hilas.com

الرجال، حتى مفرطي الذكاء منهم، هذا الحد من الغباء، فهناك ثلاث أو أربع سنوات فقط بينهما، فوالد جايمس كان الزوج الثاني لوالدة كلاريسا وقد قتل الإثنان في اصطدام تزلج على الثلج قبل ان تبلغ كلاريسا العشرين من عمرها مباشرة. فانهارت تماماً، ورغم انها كانت معتبرة راشدة قانونياً، تدخل جايمس عملياً وسرعان ما احتل مكان والديها بين ليلة وضحاها، ومنذ ذلك الحين جعل نفسه حامياً لها ومساعداً. وفي رأيي أنه كان مبالغاً في ذلك، فقد جلب المشاكل إلى نفسه في اطلاق العنان لها بهذا الشكل، فهي بالغة الشعور بالتملك له، وانا اشك في انها ستسمح لأي امرأة بأن تتدخل في حياته بحيث تزيحها عن كونها المرأة رقم واحد في حياته، وهذا أمر مخز، في الحقيقة.»

قالت تانيا: «ربما هو يستمتع بعلاقتهما هذه فبعض الرجال يحبون أن يجعلوا النساء يعتمدون عليهم سواء عاطفياً أم مالياً.»

ألقت عليها آن فيلدينغ نظرة متأملة ثم قالت: «نعم، بعضهم كذلك، ولكن لا ينبغي لي ان اضع جايمس وارن بين تلك الطبقة، فهو اكثر ذكاء من ذلك بكثير... وواثق من نفسه عاطفياً بحيث لا يشعر بحاجة إلى ذلك النوع من التعلق بإنسان آخر، كلا، ان الأمر ما هو إلا انه نشأ على اعتقاد منه بأن كلاريسا بحاجة إليه بحيث لم يعد يستطيع أن يرى حقيقتها، وهي بالطبع تحاذر من ان يرى ذلك، انها ليست محبوبة بين الناس مطلقاً، ومعظم الناس يشعرون بشيء من الأسى لأجل نيكولاس رغم انهم يعتقدون انه جلب التعاسة إلى نفسه، فكلاريسا لا تكتفي أبداً بأي شيء يعطيه

لها زوجها مادامت دوماً تقارن بين حياته مع جايمس وحياتها مع زوجها...»

قالت تانيا وهي تتذكر ذلك المنزل الرائع الذي كان نيكولاس مر بجانبه وهو يوصلها بسيارته: «ولكن يبدو عليهما الثراء.»

فقالت آن: «وهما كذلك، ولكنني أظن ان كلاريسا مازالت تأخذ مساعدة مالية من جايمس، وإلا ما كان باستطاعتها أن تمتلك تلك المرسيدس الغالية الثمن وكل تلك الملابس الثمينة. هذا إلى وضعها لولديها في مثل تلك المدرسة الخاصة الغالية، إذا لم يكن جايمس يساعدهم. ولا اظنها تعرف حتى معنى كلمة اقتصاد، ان لديهم خادم لتنظيف المنزل ومربية للطفلين قبل دخولهما المدرسة، وبالنسبة إلى نيكولاس، فإن أرق الرجال لا بد له من ان يشعر بعبء كون شقيق زوجته ينفق عليهم مثل تلك الأموال الباهظة، وطبعاً، هو مقيّد اليدين، فمعظم فرص العمل يزوده بها جايمس، وهذا ليس سراً، وأنا لا أحسده على ذلك، حتى ولو كنت أتساءل احياناً عن شعوري إذا أنا تمكنت من الخروج لشراء ثياب جديدة لأبنائي الثلاثة في نفس الوقت.»

ضحكت آن لدى جملتها الأخيرة، جاعلة قلب تانيا يرقّ لها اكثر من ذي قبل.

ولو كانت معرفتها بآن لفضل، ربما كانت افضت اليها بما في نفسها تسألها النصيحة، ولكنها كانت تعودت، منذ ولادة لوسي، أن تحمل مشاكلها بنفسها مهماكانت رقة مشاعر الآخرين نحوها.

وشعورها بأن نيكولاس يظهر نحوها مودة اكثر مما

www.hiias.com

هو ضروري، هو شيء عليها ان تعالجه وحدها، وهذا لن يكون صعباً إذا هي اعتمدت شيئاً من اللباقة والديبلوماسية، على كل حال، قد لا يكون شعوره اكثر من مجرد صداقة حقيقية من جانبه.

من المؤكد أنه لم يقل أو يفعل شيئاً يجعلها تظن خلاف ذلك، كما أن لديها من الأمور ما هو اكثر أهمية لتفكر فيه ومن ذلك متجرها، مثلاً...

عدة أيام أخرى، وتفتح متجرها للعموم، وشعرت لذلك بحماس شديد، وكانت قد اعلنت في الصحيفة المحلية إعلاناً عنه بأجر غالٍ.

بعد أن ألقت آخر نظرة على واجهة متجرها، استدارت داخلة إليه.

كانت على وشك أن تغلقه خلفها، عندما رأت رجلاً على وشك أن يتبعها إلى الداخل.

عندما نظرت إلى وجهه غير الباسم، سرت في جسمها للحظة واحدة، قشعريرة خوف ضئيلة.

لم تكن قد رأته من قبل، وكانت ملابسه عادية هي عبارة عن قميص قصير الكمين وبنطلون جينز حائل اللون.

كان شعره القاتم أشعث غير مسرّح، كما بدت على إحدى وجنتيه لطخة زيت، ولكن رغم ذلك كانت تحيط به هالة من القوة والسلطة ما جعلها تتردد ثم تقول بسرعة: «انني آسفة، فالمتجر لم يفتتح بعد، وسيكون هذا يوم السبت.»

«هذا ما فهمته.» كان صوته بارد النبرات وعلى شيء من الخشونة، وقد بدا عليه أنه يجاهد في ضبط النفس وكأنه كان غاضباً للغاية.

نظرت إليه فاكتشفت أنه كان كذلك في الواقع، وذلك من خلال نظرات عينيه الرماديتين وإطباق فمه القاسي.

تابع يقول: «هذا إلى أنني لم آت لأبتاع أحذية منك، يا سيدة كارتر.»

ماذا يريد إذن؟ أهو موظف حكومي جاء لأمر ما؟ عندها قطبت جبينها مضطربة، ثم قالت مترددة: «ولكن... ما سبب... ما سبب مجيئك؟»

فقال باختصار: «هذا شيء أظن علينا أن نتحدث عنه على انفراد.»

على انفراد؟ وأخذ قلبها يخفق بسرعة، ماذا عسى أن يطلبه منها؟ لم تستطع أن تخفي رجفة الخوف التي تملكتها، وقالت له بصوت أجش: «اخشى... أخشى أن هذا مستحيل، فعليّ أن احضر ابنتي... ربما... إذا تمكنت من اعطائك موعداً...»

ضحك بخشونة: «آه، نعم، فهذا يناسبك، أليس كذلك؟ إنني اتساءل عما يدور في عقلك الملتوي هذا، يا سيدة كارتر، حسناً، انني آسف، ولكن ليس لدي وقت أضيّعه على امرأة مثلك، كل ما أريده منك هو تأكيدك لي بأنك من الآن فصاعداً ستوقفين كل ارتباط لك مع صهري.»

فتحت تانيا فمها ذاهلة، من الواضح أن الرجل قد ارتكب خطأ ما... أو ربما هو مجنون. محا غضبها ما كانت تشعر به من خوف، وقالت له بخشونة: «انني آسفة، إذ لا يمكنني أن اساعدك في ذلك.» ما الذي كان يتحدث عنه هذا، حقاً؟ لا بد أنه ظنها امرأة أخرى، فهذا هو التفسير الوحيد لسلوكه غير العادي هذا.

www.hifas.com

أدركت فجأة، وقد اتسعت عيناها ذاهلة، أنه اخرج من جيبه دفتر شيكات ثم فتحه وهو يقول هازئاً وقد لوى شفتيه احتقاراً:

«فهمت، حسناً، ربما هذا سيساعد في اقناعك. وكما ترين، فقد جئت مستعداً لذلك، يا سيدة كارتر. ذلك أنني بطبيعة الحال، لم اكن اتوقع ان توقفي علاقتك بسبب قلب طيب أنا واثق من انك لا تملكينه، هل نقول عشرة آلاف جنيه؟»

«عشرة آلاف جنيه...» وشعرت بنفسها تكاد تنهار ذهولاً وألماً.

سألها: «ألا يكفي هذا؟ حسناً، لن تنالي اكثر من هذا المبلغ.»

استحال ارتباكها إلى ذهول والذهول إلى غضب وهي ترى نظرة الاحتقار في عينيه.

قالت له ثائرة: «اخرج من هنا، اخرج فقط قبل.. قبل أن أنادي الشرطة.»

كانت تتكلم بعنف، وبشكل خطر، ولكن الحذر ما لبث ان تملكها، من الواضح ان الرجل مجنون، من يدري ما قد يخطر في ذهنه إذا هي استمرت في تهديدها له؟

كان الغضب قد جعلها ترتجف بشكل واضح.

قال لها مهدداً: «هذه مهارة بالغة منك ولكنها لا تقنعني، ما الذي ستخبرين به الشرطة بالضبط؟ أنني قدمت إليك عشرة آلاف جنيه لتتوقفي عن تحطيم زواج شقيقتي؟ انهم سيرون هذا كرماً مني، فهنا ليست المدينة حيث لا يهتم أحد بما يفعل جاره، انني سأعطيك أربع وعشرين ساعة لتفكري

في ما عرضته عليك، وبعد ذلك.. حسناً، أريد ان أتأكد تماماً من انك ستكفّين عن محاولة هدم زواج شقيقتي.»

بغضب وذهول، اخذت تنظر إليه وهو يفتح الباب ويغادر المتجر.

كانت ماتزال واقفة حيث تركها، وهي ترتجف نتيجة الانفعال والخوف، عندما دخلت آن فيلدينغ مع لوسي بعد دقائق قليلة.

سألتها ببشاشة وهي تدخل: «ما الذي كان جايمس وارن يفعله هنا؟ إنني اعرف انه يحب ان يشرف على كل ما يحدث محلياً... وذلك لأنه ولد في الأسرة التي أسست هذه المدينة، كما اظن، ولكنني لا أرى في متجر لأحذية الأطفال ما يثير اهتمامه، إلا إذا...»

ألقت على تانيا نظرة متأملة... ثم هتفت باهتمام: «تانيا... يا عزيزتي، لوسي اصعدي واحضري لوالدتك كوب ماء، لا أراها بصحة جيدة.»

وقالت تانيا بصوت مثقل: «أرجوك ان تكرري ما قلته لي، يا آن، أرجوك.»

فسألتها صديقتها باهتمام وحيرة: «اكرر ماذا؟»

«اخبريني مرة أخرى من يكون ذلك الذي غادر هذا المتجر لتوّه.»

ازداد تقطيب جبين آن. وقالت: «اخبرك... حسناً، إنه جايمس وارن طبعاً.»

همست تانيا بمرارة: «جايمس وارن.» حسناً، لا حاجة بها الآن إلى التساؤل عن أي زواج كان زائرها غير المرغوب فيه كان يدافع، رغم انها كانت ماتزال بحاجة إلى

www.kitas.com

أدركت فجأة، وقد اتسعت عيناها ذاهلة، أنه اخرج من جيبه دفتر شيكات ثم فتحه وهو يقول هازئاً وقد لوى شفتيه احتقاراً:

«فهمت، حسناً، ربما هذا سيساعد في اقناعك. وكما ترين، فقد جئت مستعداً لذلك، يا سيدة كارتر. ذلك أنني بطبيعة الحال، لم اكن اتوقع ان توقفي علاقتك بسبب قلب طيب أنا واثق من انك لا تملكينه، هل نقول عشرة آلاف جنيه؟»

«عشرة آلاف جنيه...» وشعرت بنفسها تكاد تنهار ذهولاً وألماً.

سألها: «ألا يكفي هذا؟ حسناً، لن تنالي اكثر من هذا المبلغ.»

استحال ارتباكها إلى ذهول والذهول إلى غضب وهي ترى نظرة الاحتقار في عينيه.

قالت له ثائرة: «اخرج من هنا، اخرج فقط قبل.. قبل أن أنادي الشرطة.»

كانت تتكلم بعنف، وبشكل خطر، ولكن الحذر ما لبث ان تملكها، من الواضح ان الرجل مجنون، من يدري ما قد يخطر في ذهنه إذا هي استمرت في تهديدها له؟

كان الغضب قد جعلها ترتجف بشكل واضح.

قال لها مهدداً: «هذه مهارة بالغة منك ولكنها لا تقنعني، ما الذي ستخبرين به الشرطة بالضبط؟ أنني قدمت إليك عشرة آلاف جنيه لتتوقفي عن تحطيم زواج شقيقتي؟ انهم سيرون هذا كرماً مني، فهنا ليست المدينة حيث لا يهتم أحد بما يفعل جاره، انني سأعطيك أربع وعشرين ساعة لتفكري

في ما عرضته عليك، وبعد ذلك.. حسناً، أريد ان أتأكد تماماً من انك ستكفّين عن محاولة هدم زواج شقيقتي.»

بغضب وذهول، اخذت تنظر إليه وهو يفتح الباب ويغادر المتجر.

كانت ماتزال واقفة حيث تركها، وهي ترتجف نتيجة الانفعال والخوف، عندما دخلت آن فيلدينغ مع لوسي بعد دقائق قليلة.

سألتها ببشاشة وهي تدخل: «ما الذي كان جايمس وارن يفعله هنا؟ إنني اعرف انه يحب ان يشرف على كل ما يحدث محلياً... وذلك لأنه ولد في الأسرة التي أسست هذه المدينة، كما اظن، ولكنني لا أرى في متجر لأحذية الأطفال ما يثير اهتمامه، إلا إذا...»

ألقت على تانيا نظرة متأملة... ثم هتفت باهتمام: «تانيا... يا عزيزتي، لوسي اصعدي واحضري لوالدتك كوب ماء، لا أراها بصحة جيدة.»

وقالت تانيا بصوت مثقل: «أرجوك ان تكرري ما قلته لي، يا آن، أرجوك.»

فسألتها صديقتها باهتمام وحيرة: «اكرر ماذا؟»

«اخبريني مرة أخرى من يكون ذلك الذي غادر هذا المتجر لتوّه.»

ازداد تقطيب جبين آن. وقالت: «اخبرك... حسناً، إنه جايمس وارن طبعاً.»

همست تانيا بمرارة: «جايمس وارن.» حسناً، لا حاجة بها الآن إلى التساؤل عن أي زواج كان زائرها غير المرغوب فيه كان يدافع، رغم انها كانت ماتزال بحاجة إلى

www.liilas.com

ان تعرف بالضبط سبب تصوره انها تهتم مقدار ذرة بنيكولاس فوربس أو زواجه، هذا إلى انه اذا كان مهتماً بإنقاذ زواج شقيقته فهي التي عليه أن يتحدث إليها، لأن تصرفاتها هي السبب، سلوكها، وعادتها في التصرف بين الناس، إلى الفارق بين شقيقتها وزوجها بما يسيء إلى مصلحة الأخير... هذا ما كان يسيء إلى ذلك الزواج.

قالت آن لها بلهفة: «ماذا حدث؟ عندما جئت اليك كنت شاحبة، فظننتك على وشك الإغماء.»

بسرعة، تقدمت تانيا بالعذر الذي خطر لها وهو حرارة الجوّ.

فقالت آن: «نعم، ثم هذا يوم مليء بالقلق بالنسبة إليك، وأنا اتذكر كيف كنا توم وانا عندما ابتدأنا عملنا. إنني واثقة من نجاحك يا تانيا، وإذا وضع جايمس وارن في ذهنه ان يساعدك...»

ضحكت تانيا دون بهجة وقد توترت شفتاها: «إن آخر شيء أريده هو ان يتنازل لتشجيعي أي شخص يعتبر نفسه السيد الحاكم. شكراً لإحضارك لوسي إليّ.» قالت ذلك بلهجة من يريد الإنفراد بنفسه، وفهمت آن ذلك فودعت بلباقة وخرجت.

عندما ذهبت، وقفت تانيا تحدّق في الفراغ، إذن فهذا هو شقيق كلاريسا البالغ السلطة، انه شخصية قوية للغاية في الواقع، ولكنه لن يتمكن من إرهابها، وعندما يعود مرة أخرى باتهاماته الزائفة، فهي ستجعله يعلم مبلغ خطأه.

كيف جروء على التفكير...؟ وعلى ان يقول...؟ ولكن

كيف خطرت له فكرة ان علاقتها بنيكولاس تتعدى علاقة العمل المجرد؟

هنالك طريقة واحدة يمكن ان تدلها على ذلك، عندما يعود إلى هنا لتهديدها ستكون قد استعدت لكل شيء، انها ستخابر نيكولاس فوربس هاتفياً وتعرف منه ما الذي جعل شقيق زوجته يظن أن بينهما علاقة ما.

وعليها أن تقوم بذلك الآن وقبل أن يهدأ غضبها وتفضل الحذر والتعقل.

www.liilas.com

الفصل الثاني

توجهت تانيا إلى الهاتف في مكتبها ثم تناولت السماعة.

بدا التردد على السكرتيرة عندما سمعت صوت تانيا يطلب منها أن تصلها بنيكولاس. واستغربت تانيا هذا التغير في سلوك الفتاة والتي كانت دوماً بشوشة الوجه مرحة معها.

لكن نيكولاس كان مسروراً لسماعه صوتها. ولكن الحيطة منعتها من مناقشة مسألة جايمس وارن على الهاتف وهكذا سألته إن كان بإمكانه القدوم لزيارتها قائلة إن الأمر مستعجل قليلاً.

«لا بأس. سأكون عندك خلال عشر دقائق. وكنت سآتي إليك هذا النهار على كل حال. إن كلاريسا ستقيم حفلة عشاء هذه الليلة وقد وعدتها بأن لا أتأخر. لقد عاد جايمس لتوه من أميركا وسيكون معنا.»

عندما وضعت السماعة. تمنت لو كانت هي التي تقدم لجايمس الطعام فتضع له مادة مرة الطعم في طعامه.

كيف يجرؤ على القدوم إليها لتهديدها بذلك الشكل؟

ومضت تنتظر قدوم نيكولاس وقد تملكها الغضب. فقد كانت متلهفة إلى حياتها الجديدة السعيدة المشرقة، وإذا بالغيوم تعكر سماءها دون ذنب جنته وذلك على يدي أشهر الناس في المدينة. حسناً، فليفعل ما يريد فلن تهتم له. فهو

الذي سيعاني من النتيجة إذا عرف الناس كيف حاول رشوتها، هي المرأة البريئة، لكي توقف علاقة عملية صرفة مع صهره.

وصل نيكولاس بعد عشر دقائق. فاستقبلته تانيا في مكتبها.

كان عليهما أن يجتازا غرفة الجلوس إلى المكتب فاستدارت لوسي تنظر إليه مشرقة الوجه باسمة.

كان نيكولاس يحب الأطفال وكانوا هم يتجاوبون معه بشكل حسن.

شعرت تانيا بالمرارة تغلف قلبها وهي ترى ابنتها تهتف باسمة لرجل غريب بينما كان من حقها أن يكون لها والد تعامله بهذا الشكل.

إنها تدرك أن نشأة لوسي دون والد، كان له تأثير بالغ في أعماق ابنتها. والآن وهي ترى ابتهاجها وضحكها لممازحة نيكولاس لها، تملكها شعور بالخوف والتردد.

هل كانت لوسي في أعماقها، تتمنى لو كان في حياتها والد؟

عندما أصبحت مع نيكولاس في المكتب وحدهما سألها: «ماذا حدث؟ كان صوتك قلقاً في الهاتف.»

فقالت بصوت متوتر وهي تتنفس بعمق: «صفة القلق لا تكفي. لقد تلقيت زيارة من شقيق زوجتك عصر هذا اليوم. ويبدو أنه يظن أن بيني وبينك علاقة ما، فجاءني يطلب مني التوقف عن رؤيتك. كما أنه قدم إلي عشرة آلاف جنيه لذلك.»

فصفر نيكولاس قائلاً: «عشرة آلاف جنيه؟ وهل أخذتها؟»

www.liilas.com

حملقت تانيا به. كان يبتسم ولكن خلف ابتسامته رأت ضيقاً هو أقرب إلى الشعور بالندم.

أجابته بغضب: «كلا. لم آخذها، ولكن ليس هذا سبب دعوتي لك إلى هنا. ولكنني أريد أن أعلم ما الذي جعله يظن أن بيني وبينك اية علاقة. وجعله يحاول رشوتي وتهديدي إذا لم أتركك؟»

أخذ نيكولاس يفكر. ولما لم يجب، عادت تلح عليه بالسؤال: «نيكولاس، ماذا يحدث؟ أرجوك أن لا تقول إنك لا تعلم. لأن من الواضح أنك تعلم.»

لم يجب، وبعد لحظة قال معترفاً: «أظن الأمر هو ذنبي أنا... رغم انني لم أقصد شيئاً ابداً... لم يخطر في بالي أن كلاريسا ستلهب غضب جايمس إلى هذا الحد...»

«انتظر. أتعني أن كلاريسا هي التي أخبرت شقيقها أن بيني وبينك علاقة؟ ولكن ما الذي أعطاها هذه الفكرة؟ إن كل شخص يعلم أنك مخلص لها و...»

فقاطعها نيكولاس بمرارة: «وهذه هي المشكلة. فقد سكت لها طويلاً. وقد اشمأزت نفسي من طول شكاويها وانتقاداتها. حتى أصبحت موضعاً للهزء ما شعرت معه بانني أحمق. وقد سبق وأخبرتها بأنها إذا كانت لم تعد تحبني فعلينا إذن أن ننفصل. هذا رغم أنني أشعر... أنها لا تريد هذا ولو لأجل الطفلين... أو هذا ما تقوله. في الواقع، بلغ منها الانفعال عندما قلت لها هذا إلى حد أخذت معه أتساءل إن كان بإمكاني أن أجعلها تغار علي، وذلك بأن تعتقد أن ثمة امرأة أخرى تهتم بي... امرأة لا تحتقرني ولا تستمر في المقارنة بيني وبين رجل آخر. فانا أعرفها

غيوراً دوماً... ويبدو أن خطتي تلك نجحت أكثر مما كنت أتوقع.»

لم تصدق تانيا ما سمعته أذناها.

«أتعني أنك تعمدت ان تجعل كلاريسا تعتقد أن بيني وبينك علاقة، رغم بعد هذا عن الحقيقة؟»

«لم يكن لدي فكرة أنها ستأخذ الأمر إلى هذا الحد. لم أقل أن بيننا علاقة. لقد تحدثت أمامها فقط عنك وعن مبلغ اعجابك بي... ومثل هذا الكلام. ولم يخطر ببالي أنها ستشرك جايمس في الأمر. لقد كان عليّ أن أفكر في ذلك، فهي دوماً تركض إليه بمشاكلها. فهو أكثر أهمية بالنسبة إليها مني...»

سكت فجأة وقد احمر وجهه وعض شفته. أدركت تانيا أن كلاريسا ليست الوحيدة التي تتألم من الغيرة.

سرى في نفسها شعور كريه غير سار لما سمعت.

قالت له: «إن عليك أن تخبرها بالحقيقة. وكذلك عليك أن تخبر شقيقها أيضاً.»

فشحب وجهه وهو يتجنب نظراتها: «سافعل. ولكن ليس الآن. إذا استطعت فقط أن أجعلها تدرك...»

فهتفت تانيا: «كلا.» وتملكها الغضب منه. كيف جرؤ على استغلالها بهذا الشكل حتى دون علمها أو استشارتها؟

تابع تقول: «إنني أفهم أنك كنت تريد أن تنقذ زواجك. ولكنني لا أعتقد أن طريقتك هذه هي الطريقة الصحيحة. ما الخطأ في جلوسكما معاً ومناقشة كل شيء بصراحة؟ أخبرها أنك تحبها ولكنك تكره منها أن تقارنك بشقيقها. أخبرها أنك تريد لزواجكما أن ينجح. وبعد، فلديكما كل

www.liilas.com

الحوافز لهذا العمل. لا بد أنكما أحببتكما بعضكما البعض عندما تزوجتما... ولديكما ولدان جميلان.»

«نعم. لقد أحببتها جداً... ولكن كلاريسا... حسناً، إنني غير واثق من نضج عواطفها في ذلك الحين. وهل كانت تحبني حقاً. خصوصاً وقد كان لها علاقة مع رجل آخر قبلي...»

شعرت تانيا بالاشمئزاز لما تسمع، وبشيء من الشفقة على نيكولاس، هذا إلى الازدراء لكلاريسا...

«عليك أن تخبرها بالحقيقة، يا نيكولاس. لقد أعطاني شقيقها مهلة أربع وعشرين ساعة لكي أقرر بالنسبة إلى رشوته تلك. وإذا أنا رفضت أن أتركك، فقد أنذرني أنه سيجد طريقة أخرى تجعلني أقبل. فهو رجل متسلط جداً في هذه المدينة. ولا يمكنني أن أجعله عدواً لي، مهما كان رأيي في الرجل الذي يتقبل الاتهام للآخرين دون أن يقوم بالبحث عن الحقيقة بنفسه. لا يمكنني مساعدتك بالنسبة لزواجك. وإذا شئت الصراحة، إذا لم تخبره أنت فسأخبره أنا.»

قال نيكولاس: «سأبذل جهدي. ولكن لن يكون من السهل اقناع كلاريسا.»

قالت تانيا ببرودة وقد ازداد غضبها منه: «أحقاً؟ إنك تدهشني. فأنت لم تجد صعوبة في اقناعها بأن بيننا علاقة، ولا بد أن اقناعها بالعكس سيكون أكثر سهولة.»

فقال: «سأبذل جهدي.» ولكنها تمنت هي تودعه إلى الخارج، لو تستطيع أن تضع ثقة أكبر بعزمه ذاك على جعل كلاريسا تعرف حقيقة علاقتهما وتتقبلها.

عندما صعد إلى سيارته، اندفعت إليه بسرعة تقول: «إنك

ستحاول جهدك أن تجعلها تعرف كل شيء، أليس كذلك، يا نيكولاس؟»

منحها ابتسامة مغتصبة تنضح ألماً. ولكنها لم تشأ أن تشعر بالشفقة عليه. فهو لم يفكر فيها عندما ورطها بذلك الشكل الأحمق في مشاكله الشخصية دون علمها.

وبعد، ربما هو وكلاريسا يستحق كل منهما الآخر، على كل حال. فليس لديها سوى الازدراء لشخصين ناضجين يتلاعبان بقسوة بعواطف بعضهما البعض.

شعرت بسرور داخلي لأنها لم تتزوج مرة أخرى ما يمكن معه أن تعاني ما يعانيه نيكولاس وكلاريسا.

ولكنها عادت ففكرت في لوسي والتي ربما كانت حرمتها أهم ما يساعدها على النضج. هل ستجد ابنتها عندما تبلغ سن الرشد، صعوبة في الميل إلى الرجال؟ وهل ستصادف مشاكل عاطفية لأنها لم تعش مع والد؟

نفت من ذهنها هذه الأفكار وقد تملكها الضيق. ولكنها بعد ذلك، عندما أخذت لوسي تتأثر عن الوقت الذي أمضته مع آل فيلدينغ، وكيف كان السيد فيلدينغ يعلم ابنته كيف تقوم بدهن وزخرفة غرفة نومها. عند ذلك تساءلت تانيا عما إذا كانت حساسيتها المفرطة صورت لها أن في صوت ابنتها شيئاً من الغيرة. ذلك أن غرفة لوسي لم تكن مدهونة أو مزخرفة بعد، وذلك لضرورة إفراغ كل جهد ومال على افتتاح المتجر. وبعد ذلك ستتمكن من الانتباه إلى مسكنهما والعناية به كما يجب.

كان لديها الكثير من الخطط والأفكار لذلك، ولرغبتها في طرد ما حدث بينها وبين جايمس وارن من ذهنها، أخذت

www.hifas.com

تتحدث مع ابنتها عما ستكون عليه غرفتها الجديدة من دهان وزخرفة.

عندما ذهبت لوسي إلى الفراش، أخذت تانيا تدير نظراتها حولها. إن جعل هذا المسكن لائقاً وتجديد مواقده من طراز القرن التاسع عشر، وشراء أثاث ومفارش وستائر حديثة لائقة، حيث أن ابنتها قد أصبحت الآن على مشارف الصبا، كل ذلك سيكلفها ثروة، كما كان آل فيلدينغ قد أخبروها هذا بالنسبة إلى المستقبل، أما بالنسبة إلى الحاضر... وحولت نظراتها إلى النافذة تنظر منها إلى المنظر الريفي الممتد أمامها.

كان الغضب العنيف ما زال يتملكها من نيكولاس وتوريطه لها في مشاكله الخاصة، ولم تعرف كيف بلغت الحماقة من كلاريسا إلى حد تصديق ذلك عنها، إذ لا بد أنها كانت تعلم بمبلغ حب زوجها لها... ولكنها إذا كانت غيوراً حقاً كما قال نيكولاس، وبشكل يقرب من المرض... وقطبت تانيا حاجبيها وهي تشعر بالتقزز من ذلك الوضع بأجمعه. خصوصاً ما يتعلق منه بكلاريسا وشقيقها. ويبدو أن لدى كلاريسا اعتماداً كلياً على شقيقها.

من المؤكد أنه، بصفته الأكبر سناً ورجلاً محنكاً عملياً، كان عليه أن يكتشف ومنذ وقت طويل، خطر اعتماد كلاريسا عليه وأن عليها أن تلتفت إلى زوجها لارضاء مطامعها وليس إليه هو. من المؤكد أنه كان عليه هو أن يضع حداً بينه وبين شقيقته، بكل رقة ولطف وطريقة لا تؤلمها.

أم تراها، هي تانيا، تواجه نوعاً من ضعف الرجال

وغرورهم؟ وهل جايمس وارن يسعد، في الواقع بشغف كلاريسا به، برغم إنكار آن فيلدينغ لذلك؟

ابتعدت عن النافذة وقد تملكها الضيق. أربع وعشرون ساعة... هذا ما قاله. إنه سيعود بعد أربع وعشرين ساعة ليسمع قرارها، وتساءلت ساخرة عما إذا كان سيعتذر لها بعد أن يكتشف خطأه. فهو لا يبدو من هذا النوع. وتملكها الشك في أن يكون قد اعترف مرة واحدة في حياته بخطأ ارتكبه.

لجأت إلى فراشها مبكرة بعد أن أنهكتها أحداث اليوم، وأرهقها ما قامت به لافتتاح المتجر. فهي لا تجرؤ على تصور الفشل. عليها أن تنجح في مشروعها ولو لأجل لوسي. وقد آلمها أن ترى ابنتها تمضي معظم أوقاتها في منزل آل فيلدينغ، ولكنها عادت فتذكرت مبلغ ما كانتا عليه من عزلة على الدوام وكيف كان هذا يقلقها في الماضي. ومبلغ ما تتمناه لابنتها من أمان وثقة بالنفس وسعادة.

عندما استيقظت في الصباح، لم تدرك فقط أنها تأخرت في النوم، بل أيضاً أن لديها كل علائم الاصابة بانفلونزوا وشيكة.

أخذت تشتم جايمس وارن وأسرته. أسرعت إلى الحمام لتجد أن ليس لديها العقار الوحيد الذي يوقف الانفلونزا عند حدها في البداية، وإلا فلا شيء يمكن أن يوقفها بعد ذلك حسب تجربتها المؤلمة.

من حسن الحظ أن بجانب بيتها صيدلية تمكنت من أن تزودها بالعقار المطلوب.

www.liilas.com

عندما عادت إلى شقتها، أدركت أن السكون فيها بالغ للغاية. فقد كانت العادة، حين تفتح الباب، أن تسمع صوت لوسي تغني أو تتحدث إلى نفسها، لا يوجد سوى الصمت الآن يسود المكان.

خفق قلبها قلقاً. فقد كانت دوماً تلح على ابنتها بأن لا تذهب إلى أي مكان من دونها وأن لا تتحدث أبداً إلى الغرباء، وخصوصاً قبول توصيلهم لها في سياراتهم. وأن لا تفعل شيئاً أو تذهب مع أحد إلا حسب ما كانت والدتها، تانيا، قد سبق وسمحت لها به.

أسرعت إلى غرفة الجلوس تنادي ابنتها، وإذا بها تقف فجأة بعد إذ رأت لوسي واقفة عند باب المطبخ غارقة في دموعها.

هتفت تانيا بلهفة وهي تحتضن ابنتها: «عزيزتي، ماذا حدث؟»

كان يبدو في عيني لوسي الرماديتين نوع من الشعور بالذنب. وعندما نظرت من فوق كتف ابنتها، رأت قطع إناء من الخزف الصيني مبعثرة في أنحاء المطبخ.

«أنا آسفة، فقد كنت أحاول أن أساعدك...»

عضت تانيا شفتها وهي ترى قطعة من حطام أحد أجزاء طقم شاي من الخزف الصيني كان يمثل، بالنسبة إليها، رفاهية حقيقية بين مقتنياتها الرخيصة التي كانت تشتريها من على العربات.

قالت لوسي باكية: «كنت فقط أحاول أن أصنع لك فنجان شاي. ولكن الابريق انزلق من يدي.»

ابريق شاي اذن، الذي تحطم. أثمن وأهم أجزاء الطقم،

ولكنه على الأقل، لم يكن مليئاً بالماء الحار عندما سقط من يد لوسي.

قالت لابنتها تخفف عنها: «لا بأس يا حبيبتي إن مثل هذا يحدث مع كل إنسان.»

ولكن، رغم هذا، لم تستطع إلا أن تشعر بالألم لهذه الخسارة. ليس لأنها كانت شحيحة بخيلة، وإنما لأنها كانت فقيرة... وتنهدت في داخلها.

• • •

كان نهاراً يبدو أنه مقدر عليه أن يشحن بالمتاعب الصغيرة، ولم يكن هذا يتصل، طبعاً، بتوترها الداخلي إذ تعلم أنها، قبل أن تنتهي عليها أن تواجه مرة أخرى جايمس وارن.

ولكن... ما الذي يجعلها تشعر بالتوجس... التوجس... وضحكت بمرارة، إن كلمة الخوف البالغ هو الوصف الأصح لمشاعرها، وإن يكن هذا لا يعني أنها ستسمح له بأن يراه. يا للرجل الوقح. كلا، هو الذي سيتألم وليست هي.

فكرت في أن تغادر المنزل هذا المساء، ولكنها عادت فاعترفت بأن هذا سيكون جبناً منها لا معنى له. ذلك أن كل ما تريده هو إصلاح الوضع وإظهار الحقيقة، فلا يبقى تهديده لها مخيماً فوق رأسها.

عندما جاءت سوزان فيلدينغ بعد الظهر تسأل عما إذا كانت لوسي تستطيع أن تعود معها إلى بيتهم، شعرت تانيا بالارتياح لخروج ابنتها لأنها لم تكن تريدها أن ترى مواجهتها مع جايمس وارن.

www.hilas.com

عندما حلت الساعة الثالثة والنصف ثم مضت دون أن يحضر، حدثت نفسها بارتياح، بأن نيكولاس لا بد كشف له عن الحقيقة وأن جايمس شعر بالحرج للخطأ الذي ارتكبه نحوها. حسناً، فهذا يناسبها تماماً.

ما ان اصبحت الساعة الرابعة، وقد أوشكت هي على الجلوس وصنع كوب شاي لنفسها علها تذهب بذلك الصراع الذي ما زال يتملكها، حتى سمعت صوت جرس الباب.

علمت شخصية القادم على الفور. ولكن ذلك لم يوقف التوتر الذي تملكها وهي تفتح الباب لترى جايمس وارن واقفاً عنده.

شعرت لحظة بأنها تريد أن تقفل الباب في وجهه ولكنها عند ذلك، لاحظت إحدى جاراتها تراقبها بفضول من الناحية الأخرى للشارع، وهكذا وقفت جانباً تدعوه للدخول.

عندما تبعها إلى الداخل، همهم يقول: «حسناً، أرجو أن تكوني قد صممت على الرأي الصواب. لأنني، كما سبق وحذرتك أمس، لست مستعداً للوقوف جانباً والتفرج عليك وأنت تحطمين زواج شقيقتي.»

حدقت تانيا إليه، ثم غاص قلبها. إن نيكولاس لم يكشف له عن الحقيقة، إما ذلك وإما أنه كشف له عنها فلم يصدقه.

قالت له ببرودة: «ليس لدي ما أصمم عليه ما دام ليس بيني وبين صهرك أو أي رجل آخر علاقة عاطفية. ليس لدي علاقات من هذا النوع، يا سيد وارن، وأنا على الأخص لا أنشىء علاقات عاطفية مع رجال متزوجين.»

«كلا؟» وارتفع حاجباه ساخراً: «لا أظنك تعيشين حياة سعيدة في وحدتك هذه. فقد سمعت الكثير عنك.»

حبست أنفاسها وهي ترى قسوته تلك في الحكم عليها، وكشف له ذهولها مبلغ ما آذت مشاعرها كلماته.

عندما رفعت رأسها عالياً وهي تنظر إليه بمرارة، شعرت بالشماتة وهي تراه يعبس، ثم يقول: «فهمت. يبدو أن نيكولاس كان يكشف لك عن همومه، أليس كذلك. ما الذي تريدينه بالضبط، يا سيدة كارتر؟ أمواله؟ إنه لا يملك شيئاً لولا مساندتي له. طريقة حياته؟ انه ما كان ليعيش بتلك الرفاهية لولاي.»

أذهلتها سخريته فقالت: «أما كان الأمر ببساطة هو أنني أريد نيكولاس لذاته؟ إن احتقار شقيقتك الغالية له لا يعني أنني أشعر نحوه بنفس الشيء. وأنا في الواقع لا أدري لماذا تشاركك في هذا الأمر. وبعد، فهي لا تكاد تبدو في مظهر الزوجة المخلصة، أليس كذلك؟ فالمعروف عنها أنها تفضل صحبتك على صحبة زوجها. فهي لا تطلب النصيحة إلا منك، وكذلك للرفقة، وطبعاً عند طلب المال.»

سرها أن ترى وجهه يكسوه الغضب الهائل، والكراهية وهو يستمع إليها.

لم يعجبه ما كانت تقوله له، ولكن كيف يقف أمامها ليهينها كما يشاء؟ فليجرب كيف تكون الاهانة والاتهام والاذلال.

قال لها بوحشية: «ماذا تعنين بكلامك هذا، بالضبط؟»

سرعان ما تملك تانيا الخوف وهو يتقدم نحوها. كانت عيناه تلتهبان غضباً.

فقالت له وهي ترتجف: «إنني لا أعني شيئاً. كلا ولا أعتمد على افتراضات غبية لشخص واحد وعلى اعتقاد

www.liilas.com

خاطىء فابني اتهامات خاطئة تماماً. إن كل المدينة تعرف أن شقيقتك الغالية تهتم ليس بزوجها ولكن بشقيقها، وأنها تذل زوجها على الدوام وذلك بمقارنته بك. فإذا كان يبحث عن الحنان والدفء، عن الحب خارج زواجه، فأنا أشك في أن ذلك سيدهش أحداً.»

«إذن فهذه هي مبرراتك، أليس كذلك؟ الأمر كله هو ذنب كلاريسا. هل نسيت أن لديهما ولدين؟ ولدان هم بحاجة إلى والديهما معاً؟»

«تماماً كما أن ابنتي بحاجة إلى والدين.»

فقال لها بقسوة: «حسناً، ربما بإمكانك أن تبتاعي لنفسك رجلاً بالعشرة آلاف جنيه التي ستأخذينها مني. إنها ستقبلينها، أليس كذلك؟»

حملقت تانيا فيه، ثم قالت بحدة: «كلا. كلا لن أقبلها حتى ولو وضعت صفراً آخر وجعلتها مائة ألف جنيه.»

«مائة ألف؟ هل هذا هو ما تريدينه؟ حسناً، دعيني أخبرك...»

فقاطعته غاضبة: «كلا، بل دعني أخبرك بأنك تأتي إلى هنا لتهديدي وتخويفي واتهامي. فأنا ليست لي اية علاقة مع نيكولاس. وإذا لم تصدقني حاول أن تسأله.»

فقال لها: «أنا لا أصدقك، أما أن أسأل نيكولاس... حسناً، فلمعلوماتك الخاصة كان هذا أول ما فعلته بعد أن استطعت تهدئة ثورة كلاريسا الهستيرية. هل لديك فكرة عما تفعلينه بشقيقتي؟ هل لديك فكرة عن مبلغ رهافة اتزانها العصبي؟ إنها دوماً هشة ضعيفة بالنسبة لأعصابها.»

تمتمت تقول بصوت خافت: «ما معنى كلامك هذا؟»

كانت تانيا الآن قد تخلت عن كل تعقل أو احتراس، فقالت: «معنى ذلك أن شقيقتك الغالية هي احدى أكثر النساء اللاتي عرفتهن انتهازية. أما بالنسبة إلى أعصابها، فأنا متأكدة من أن أعصابها تلك مصنوعة من فولاذ، إذا كانت مهتمة إلى هذا الحد بالنسبة لزواجها، فلماذا لا تحاول التصرف بصفتها زوجة لنيكولاس؟ أم أنك وهي تفضلان هذا الوضع، وهو أنها متزوجة من نيكولاس ولكنك، في الحقيقة أهم رجل في حياتها؟»

أدركت على الفور أنها تجاوزت الحد كثيراً. فقد توترت شفتاه غضباً والتهبت عيناه.

«كيف تجرؤين على هذه الاتهامات القذرة؟ إنك... إنك تتحدثين عن شقيقتي كلاريسا وكأنها تخفي أموراً في نفسها... بإمكانك أن تقذفيها بالوحل كما تشائين، ولكنك لا يمكن أن تخفي تعمدك تحطيم زواج شقيقتي، وسأجعلك تدفعين ثمن ذلك بأي شكل كان.»

* * *

لم تصدق تانيا أنه خرج أخيراً، وهي تستند إلى الجدار شاعرة بالارتياح. كان جسمها بأجمعه يؤلمها، كما كان رأسها ينبض بالألم. كما كانت خفقات قلبها تتسارع.

وأخذت تحدث نفسها، إهدإي... إهدإي فقد ذهب. لقد انتهى الأمر وذهب...

صحيح أنه هددها، واتهمها وأخافها... ولكن ماذا بإمكانه أن يفعل بعد ذلك؟ فليس هناك علاقة تربطها بنيكولاس، ولا بأحد آخر. ورفضه أن يصدق براءتها لم

www.liilas.com

يفعل سوى إثبات رأيها فيه وهو أنه ليس بالرجل الذي تهمها معرفته، ولا بد أن تخبره بذلك، يوماً ما، وبعد فإن من حقها تماماً أن تعيش في هذه المدينة قدر ما له من حق فجذورها بما يتصل بعمتها، هي مدفونة هنا. كما أن ارثها وعملها هنا... كل ذلك هو فرصتها لتوفير حياة أفضل لابنتها ولنفسها وهذا ما هي مصممة عليه. فلا شيء ولا رجل، خصوصاً إذا كان مثل جايمس وارن، يمكنه أن يمنعها من ذلك.

الفصل الثالث

«إنك متوترة.»

منحت تانيا آن فيلدينغ ابتسامة متوترة وأجابت: «هل يبدو عليّ هذا؟»

أجابت آن تطمئنها: «قليلاً فقط.»

ذلك أنها بعد نصف ساعة بالضبط ستفتح أبواب المتجر لمجموعة صغيرة، ولكنها ذات أهمية، مكونة من طبقة عالية ومتوسطة من سكان المدينة كانت قد دعتهم إلى حفلة سابقة للإفتتاح والتي كانت آن قد أصرّت عليها قائلة إن عملها، بذلك، سيحوز على أرفع مستوى من المساندة والإعلان.

كانت هي قد اعترضت على أن نفقات عمل كهذا هو فوق طاقتها، ولكن آن أمرتها بذلك بحزم قائلة انه ضروري، وقد ضحك نيكولاس منها عندما علم أنها ستقوم بصنع المرطبات بنفسها.

وسألها: «لماذا لا تحضرينه جاهزاً؟ إن كلاريسا تتعامل مع شركة جيدة جداً في هذا.» ولكن تانيا اومأت برأسها قائلة إن في ذلك إسرافاً.

وافقتها آن فيلدينغ على ذلك تماماً، ثم سألتها: «لماذا لا تدعينني أساعدك؟»

كانت تانيا الآن تلقي نظرة أخيرة على مائدة المقصف. وكانت في الواقع شاكرة لكل العون الذي أسدته إليها آن،

www.liilas.com

ولكنها مع هذا، لم تستطع أن تحمل نفسها على الإفضاء إلى صديقتها الجديدة هذه بما حدث بينها وبين رغبتها العميقة في أن تبقى دوماً مستقلة عن غيرها، أم هو ناشىء عن خوفها الكامن نتيجة وحدتها في الحياة، أم أنها خائفة من أن آن قد لا تصدقها؟

حاولت أن تتخلص من كل هذه الأفكار بتركيز ذهنها على مائدة المقصف.

كانت محتويات المقصف تبدو، في الواقع، أجمل للنظر من مواد الطعام المعروضة، كما أن الشعور بأن الطبقة العالية المرفهة هي أعلى مركزاً من أن تدعى لحفلة افتتاح المتجر، هو ما دفعها إلى إقامة حفلة ما قبل الإفتتاح هذه، وهي التي ستجلب لها النجاح مع ضيوفها وتضمن لها الرعاية الإضافية التي هي بحاجة إليها، كما أخبرتها آن. كما أن الديكور الرائع الذي ساعدتها آن في جعل جوّ المكان بالغ الجمال والشاعرية، كل ذلك لم يدع مجالاً لعدم نجاح هذه الأمسية.

كما أن آن كانت أقنعتها بأن تشتري لنفسها ثوباً جديداً للمناسبة، وكان هذا في رأيها إسرافاً لا لزوم له لولا أن أ طمأنتها إلى أنه سيسبب لها نجاحاً يفوق ثمنه.

فقد كانت قالت لها وهي تجرها إلى متجر الأزياء الفخ «من الضروري أن تبدي بمظهر الغنى عندما تكونين فقيرة فالأغنياء وحدهم لا يهمهم الظهور بمظهر رث قذر هنا» قالت ذلك وهي تخرج ثوباً قائلة: «جربي هذا.»

عندما نظرت تانيا إلى الثوب الذهبي القاتم والمصنو من قماش الجيرزي واحست بشيء من النفور والشك

ضحكت آن منها وأصرت تقول: «إنه سيبدو رائعاً عليك. صدقيني كما أن لونه ملائم جداً للونك ولهذه المناسبة أيضاً.»

لدهشة تانيا الكبرى، كان الحق مع آن. إذ عندما ارتدت الثوب بدا وكأنه يستحق ثمنه المرتفع، حقاً، وذلك بأناقته البالغة.

فقد قالت لها آن: «أثناء المناسبة، ستشعرين وكأنك تريدين أن ترتديه مرة بعد مرة.»

«المناسبة؟» تملكت تانيا الحيرة وهي تتساءل عن ذلك.

فقالت آن تفسر لها الأمر ضاحكة: «أعني مناسبة حفلة العشاء، فنحن هنا اجتماعيون. نحب الاحتفاء بأنفسنا، فعدا عن حفلة غرفة التجارة المحلية، والتي سيدعونك لحضورها، فسيكون هناك حفلات صغيرة ندعى إليها.»

«ولكنني لا أستطيع... إن لوسي...»

«إن بإمكان لوسي أن تنام مع ابنتي سوزان. كما أن ابنة شقيقة توم الكبرى هي طالبة جامعية ويسرها جداً أن تحصل على بعض النقود إزاء عمل جليسة أطفال. كما أنها فتاة عاقلة أيضاً.

• • •

أخذت آن تمعن النظر في مظهر تانيا وهي تقول: «إنني مسرورة لشرائك أيضاً هذين القرطين الذهبيين. إنهما يكملان من جمال مظهرك. كما أنهما يضيفان إليه غموضاً وجاذبية، وأظنك ستحصلين على أولياء أمر عديدين يحضرون أولادهم إلى متجرك أثناء الأسابيع القليلة القادمة.»

كفت عن الضحك عندما رأت التعبير الذي بدا على ملامح تانيا، فلمست ذراعها بلطف تسألها: «ما الخبر؟»

«إنني لا أهتم بالرجال المتزوجين، لم أفعل ذلك ابداً ولن أفعله. وفي الواقع، أنا لا أهتم بالرجال ككل.»

«إنني آسفة، فأنا لم أقصد الإساءة إليك، وطبعاً أنا لم...»

«آه، لا بأس، إنني فقط متوترة سريعة الحساسية حالياً.» وعضت شفتها متسائلة عما إذا كان عليها أن تفضي إلى آن بأمرها وتسألها النصيحة، ولكن وصول لوسي وسوزان في هذه اللحظة للنظر إلى المقصف، حال دون ذلك.

قالت آن بحزم: «والآن، لقد أعددنا لكما أنتما الاثنتين أنواعاً خاصة لعشائكما بشرط أن يكون سلوككما حسناً وتمكثا في الطابق العلوي.»

فقالت سوزان: «نعم. وسأنام الليلة في غرفة لوسي أليس كذلك؟ وسأساعد لوسي في اختيار نوع زخرفة غرفتها الذي سيقوم به والدي فيما بعد.»

ألقت تانيا على آن نظرة مرتبكة، وفيما بعد قالت لها: «أنا آسفة، سأشرح للوسي أن عليها أن لا تتوقع من توم أن يزخرف لها غرفتها.»

قالت لها آن ببساطة: «بل هو طبعاً سيفعل ذلك، والأكثر من ذلك هو أننا، أنت وأنا، سنرسمها لها على جدرانها.»

قالت تانيا: «ولكننا سبق وقبلنا الكثير منكما، حقاً إنني أشعر...»

فقاطعتها آن: «إياك... وبعد، فهذا ما ينبغي في حياتنا أليس كذلك؟ مساعدة الآخرين والمعاملة الحسنة

والإحسان... بجانب ذلك، فصداقة لوسي هذه جيدة بالنسبة إلى سوزان، إذ حيث أنها الصغرى عندي، فهي تميل إلى الاعتماد على الغير. وسرني أن أراها تعتمد على نفسها وتحاول الترؤس على لوسي.» فهقهت ضاحكة: «والآن ما زال أمامنا عشر دقائق قبل أن يبدأ المدعوون بالتوافد، واقترح أن نطرد وساوسك هذه بفنجان قهوة معاً.»

• • •

أتراه الارتياح، أم هو الدفء والملاطفة التي غمرها به المدعوون حولها؟ أخذت تانيا بعد ساعة من ذلك، تفكر متأملة في سبب السعادة البالغة التي شعرت بها.

أخذت تتلقى الثناء على مشروعها من كل شخص من الموجودين وهم يعدونها بالمساعدة والدعم، أثنوا على تنظيم واجهة المحل، وطعام المقصف والمرطبات. وقد وعدتها مراسلة الصحيفة المحلية أن تكتب مقالاً عنها، واعدة بأن تحضر ابنتيها إلى متجرها لشراء أحذية المدرسة، وهي تفضي إليها: «إنهما في السن التي لا يعجبهما فيها أيّ شيء أنصحهما به، وهكذا أضطر أحياناً إلى رشوتهما لقبول زوج ملائم من الأحذية المدرسية، ويصلح في نفس الوقت للخروج.»

كانت تتوقع أن يبقى المدعوون ساعة على الأكثر، ولكن لم يبد أحد رغبة في المغادرة ما جعلها مسرورة لسماع نصيحة آن بشراء مزيد من المرطبات.

ولاستغراقها في تأدية واجب الضيافة ولهفتها في سبيل إنجاح عملها، كانت غافلة كلياً عن مبلغ جذبها لانتباه الآخرين.

www.liilas.com

كانت تتوخى في ملابسها، عادة، أن تكون دافئة عملية، وهكذا كانت غفلة عن قوامها الرشيق والذي أثار انتباه الضيوف من الرجال، كما أنها بدت جذابة للغاية وما كانت تنتبه هي لذلك. ولم تر المدعوات أيّ مانع من إشراكها في مجتمعهن، نابذات شعورهن السابق بالحذر حين اكتشفن أن الوافدة الجديدة إلى مدينتهن هي امرأة في التاسعة والعشرين ولديها إبنة في العاشرة.

أما أولئك الرجال المتهتكين الذين حضروا الحفلة أملاً في أن تكون تانيا من النوع الذي يمكنهم قضاء وقت معها، سرعان ما أدركوا أن آمالهم تلك لا فائدة من ورائها.

أما الشخص الوحيد الذي لم يحضر حفلتها، فقد كان نيكولاس، وهذا لم يكن مستغرباً. فهو، بطبيعة الحال، لم يكن ليضيف المزيد من الوقود إلى نيران كلاريسا وذلك بحضور الحفلة، كما أن تانيا شعرت بالارتياح التام لعدم مجيئه.

ثم جعلتها حاستها ترفع بصرها لترى ثلاثة أشخاص يفتحون باب المتجر داخلين.

جمد الدم في عروقها وهي ترى جسم كلاريسا الضئيل وهي تقف بين زوجها وشقيقها.

كانت متابطة ذراعيهما وقد تجهم وجهها وهي تقول بصوت عالٍ ينضح نكداً ومرارة: «بصراحة، يا نيكولاس، لا أدري لماذا إصرارك على إحضارنا إلى هنا. إن جايمس المسكين سيقتله الضجر. أعني ما الذي يهمنا من دكان الأحذية التافهة هذا؟»

ساد الصمت على الجميع، ولكن تانيا بدلاً من أن يتملكها

الارتباك، وجدت نفسها في غاية الغضب فتقدمت إلى الأمام للترحيب بنيكولاس قائلة ببرودة: «نيكولاس... كما أنك أحضرت زوجتك...»

كان صوتها يتضمن أن حضور كلاريسا لم يكن متوقعاً أو مرغوباً به كلياً ما جعل موجة غضب تجتاح وجه الشقراء تلك. بينما قال نيكولاس: «تانيا... هذا جايمس...»

فقاطعته دون اهتمام: «نعم، لقد سبق وقابلته.» قالت ذلك متعمدة إدارة ظهرها لجايمس وهي تقول: «أخشى أن لا يكون هناك طعام باقٍ، ولكن بإمكاننا تقديم كوب من العصير.»

«مرة أخرى سمحت لصوتها بأن يظهر عدم الاهتمام بما إذا كان استقبالها غير المضياف هذا قد جرحهم.

على الفور، ثار غضب كلاريسا وقالت متذمرة: «آه، هيا بنا يا نيكولاس، لا تدعنا نمكث هنا في هذا المكان الكئيب.» ونظرت إلى تانيا بحقد.

احمر وجه نيكولاس، ولكنه بقي واقفاً وهو يقول بهدوء: «يمكنك الذهاب، إذا شئت، يا حبيبتي ولكنني أظن أنه ينبغي أن أبقى، فإن تانيا هي زبونة عندي قبل كل شيء.»

أمسكت تانيا أنفاسها، وقد أدركت على الفور ما يحاول عمله، متمنية لو كان اختار أي امرأة سواها لإثارة غيرة كلاريسا.

كانت، في الواقع، من شدة الغيظ منه بحيث رمقته بنظرة تتوهج سخطاً حملت جايمس على الوقوف بينهما وهو يقول ببرودة: «ما دمنا هنا، فمن فساد الذوق أن نخرج دون أن نلقي نظرة على بضاعة السيدة كارتر.»

www.liilas.com

أدركت تانيا أنه كان يتعمد الإهانة. وشعرت بالضيق وهي ترى نظراته تنصب عمداً عليها، بينما قالت كلايسا بخبث: «آه، أشك في أن لديها أيّ شيء يثير اهتمامك يا جايمس. إن جايمس لم يتعود سوى على الأفضل... من كل شيء...» وكانت توجه كلامها هذا إلى تانيا بلؤم.

حدقت تانيا إليها، وهي توشك أن تنفجر غضباً، وكانت واعية إلى اهتمام الناس خلفها، فكانت شاكرة، على الأقل، عدم استطاعتهم سماع ما يدور من حديث.

قالت بلهجة لاذعة: «أحقاً؟ إنك تدهشينني.»

سرّت وهي ترى كلاريسا تفتح فمها، ويبدو أن شقيقة جايمس وارن المدللة لم تعتد على أن يرد عليها أحد بنفس كلامها، فقد اعتادت اتخاذ شقيقها ملجأ تلوذ إليه، ويدافع عنها بعنف ما جعلها تظن أن بإمكانها إلقاء إهاناتها على الآخرين شاعرة بحصانة ضدهم.

قالت تانيا تقترح على نيكولاس: «نيكولاس، قد يمكنك أن تسكب لنفسك كوباً من العصير. إن عليّ أن أذهب للاحتفاء بضيوفي الآخرين.»

ابتعدت عنهم، ولكن الذهول تملكها عندما رأت نيكولاس يتبعها ليضع يده على ذراعها قائلاً برقة: «إنك تبدين جميلة جداً هذه الليلة.» ولكن صوته لم يكن من الرقة بحيث لا تتمكن زوجته وشقيقها من سماعه.

اشتد غضب تانيا منه، فانتزعت ذراعها من يده وهمست بصوت حاد: «كفّ عن هذا، يا نيكولاس، ووفر اطراءك لزوجتك، إذا لم يكن لديك مانع.» ولكن كان الأوان قد فات. فقد أخذت كلاريسا تحملق فيها بحقد وغضب،

بينما كان جايمس ينظر إليها بطريقة جعلت قلبها يخفق فزعاً.

في النهاية، بقي الثلاثي غير المرغوب فيه أكثر من نصف ساعة بقليل بينما حرصت تانيا على الابتعاد عنهم قدر إمكانها، وكانت تشعر بجايمس وارن يركز اهتمامه عليها، ما جعلها تحسّ بالانزعاج الشديد، وبأنها تريد أن تلتفت لترى إن كان يراقبها حقاً أم أن ذلك مجرد تصورات منها، ولكنها لم تشأ أن تجعله يشعر بالسرور إذ يرى كم ساءها حضوره.

لقد كان هددها، وكانت هي خائفة منه رغم براءتها، وكان خوفاً طبيعياً يشعر به أي إنسان يعلم بأنه أضعف من مهاجمه.

كانت خائفة من أنه، بشكل ما، سينفذ تهديده ويهدم كل ما تحاول بناءه هنا، وذلك رغم ما أخذت تقنع به نفسها بأنه ليس قادراً على كل شيء، ولم تستطع أن تتنفس بارتياح إلا بعد أن خرج الثلاثة من المتجر.

قالت لها آن بإعجاب: «حسناً، لم أتصور ابداً أنك ستظفرين بزيارة من جايمس. فهو طبعاً يحب أن يهتم بكل ما يحدث محلياً. حتى ولو...»

كانتا وحدهما. لقد ذهب كل المدعوون ولكن آن أصرت على التخلف لكي تساعد تانيا في إخلاء وتنظيم المكان.

قالت ببشاشة وهي تجمع الأكواب المستعملة: «لم يكن يبدو السرور على كلاريسا ونيكولاس، أليس كذلك؟ لكن هذا لا يدهشني. فهو ما كان ينبغي له أن يتزوجها. فهي مدللة جداً، وأنا أشك في أنها أحبته يوماً. وهذا شيء

www.liilas.com

أدركت تانيا أنه كان يتعمد الإهانة. وشعرت بالضيق وهي ترى نظراته تنصب عمداً عليها، بينما قالت كلايسا بخبث: «آه، أشك في أن لديها أيّ شيء يثير اهتمامك يا جايمس. إن جايمس لم يتعود سوى على الأفضل... من كل شيء...» وكانت توجه كلامها هذا إلى تانيا بلؤم.

حدقت تانيا إليها، وهي توشك أن تنفجر غضباً، وكانت واعية إلى اهتمام الناس خلفها، فكانت شاكرة، على الأقل، عدم استطاعتهم سماع ما يدور من حديث.

قالت بلهجة لاذعة: «أحقاً؟ إنك تدهشينني.»

سرّت وهي ترى كلاريسا تفتح فمها، ويبدو أن شقيقة جايمس وارن المدللة لم تعتد على أن يرد عليها أحد بنفس كلامها، فقد اعتادت اتخاذ شقيقها ملجأ تلوذ إليه، ويدافع عنها بعنف ما جعلها تظن أن بإمكانها إلقاء إهاناتها على الآخرين شاعرة بحصانة ضدهم.

قالت تانيا تقترح على نيكولاس: «نيكولاس، قد يمكنك أن تسكب لنفسك كوباً من العصير. إن عليّ أن أذهب للاحتفاء بضيوفي الآخرين.»

ابتعدت عنهم، ولكن الذهول تملكها عندما رأت نيكولاس يتبعها ليضع يده على ذراعها قائلاً برقة: «إنك تبدين جميلة جداً هذه الليلة.» ولكن صوته لم يكن من الرقة بحيث لا تتمكن زوجته وشقيقها من سماعه.

اشتد غضب تانيا منه، فانتزعت ذراعها من يده وهمست بصوت حاد: «كفّ عن هذا، يا نيكولاس، ووفر اطراءك لزوجتك، إذا لم يكن لديك مانع.» ولكن كان الأوان قد فات. فقد أخذت كلاريسا تحملق فيها بحقد وغضب،

بينما كان جايمس ينظر إليها بطريقة جعلت قلبها يخفق فزعاً.

في النهاية، بقي الثلاثي غير المرغوب فيه أكثر من نصف ساعة بقليل بينما حرصت تانيا على الابتعاد عنهم قدر إمكانها، وكانت تشعر بجايمس وارن يركز اهتمامه عليها، ما جعلها تحسّ بالانزعاج الشديد، وبأنها تريد أن تلتفت لترى إن كان يراقبها حقاً أم أن ذلك مجرد تصورات منها، ولكنها لم تشأ أن تجعله يشعر بالسرور إذ يرى كم ساءها حضوره.

لقد كان هددها، وكانت هي خائفة منه رغم براءتها، وكان خوفاً طبيعياً يشعر به أي إنسان يعلم بأنه أضعف من مهاجمه.

كانت خائفة من أنه، بشكل ما، سينفذ تهديده ويهدم كل ما تحاول بناءه هنا، وذلك رغم ما أخذت تقنع به نفسها بأنه ليس قادراً على كل شيء، ولم تستطع أن تتنفس بارتياح إلا بعد أن خرج الثلاثة من المتجر.

قالت لها آن بإعجاب: «حسناً، لم أتصور ابداً أنك ستظفرين بزيارة من جايمس. فهو طبعاً يحب أن يهتم بكل ما يحدث محلياً. حتى ولو...»

كانتا وحدهما. لقد ذهب كل المدعوون ولكن آن أصرت على التخلف لكي تساعد تانيا في إخلاء وتنظيم المكان.

قالت ببشاشة وهي تجمع الأكواب المستعملة: «لم يكن يبدو السرور على كلاريسا ونيكولاس، أليس كذلك؟ لكن هذا لا يدهشني. فهو ما كان ينبغي له أن يتزوجها. فهي مدللة جداً، وأنا أشك في أنها أحبته يوماً. وهذا شيء

www.liilas.com

مخجل. إن عليها أن تكون سعيدة حقاً... زوج حسن كريم أولئك الولدان الجميلان، ومنزل رائع الجمال والترف...»

أضافت تانيا بلهجة لاذعة: «وشقيق شغوف.»

ما جعل آن تقطب جبينها، ثم تبتسم قائلة: «نعم، إن جايمس سخي جداً معها، وهذا ليس في صالح المسكين نيكولاس، إذ ليس في مقدور أحد أن يعيش في مستوى جايمس وارن.»

«أحقاً؟ من بينهما هما الاثنين، يعجبني نيكولاس.» وما لبثت أن عضت شفتها وهي ترى ذهول آن. ما هذا الجنون الذي تفعله؟ إن كلاماً كهذا لا يفعل سوى إضافة الوقود إلى النار التي أشعلها نيكولاس بحماقته.

قالت لها آن ذاهلة: «أحقاً؟» وأضافت تقول: «لقد جمعنا كل الأكواب الآن، فهل أبدأ بغسلها؟»

شعرت تانيا بالارتياح لتغيير الموضوع.

الفصل الرابع

عند نهاية الأسبوع، في الصباح السابق لافتتاح متجرها، عندما صدرت مقالة جيدة للغاية عن عملها وذلك في الصحيفة المحلية، أدركت تانيا حكمة آن بإصرارها بإقامة حفلة قبل الافتتاح، وقد قالت ذلك لآن وهما تتحدثان عن الصحيفة تلك بينما تتناولان القهوة.

«إن تلك المقالة كانت جيدة، أليس كذلك؟ فلنأمل أن تعجب أيضاً زبائنك. بالمناسبة، أريد أن أتحدث إليك عن الفتاتين، إنهما ستبدآن عامهما الدراسي قريباً. ما رأيك في أن أوصلهما أنا وأعيدهما معاً أثناء الأسبوع الأول؟ وذلك فقط لأمنحك وقتاً تؤدين فيه عملك؟ أظن لوسي أصبحت تشعر بالسعادة معنا الآن فلا تشعر بأنك تهملينها بأي شكل، وعندما ترين سير العمل يمكننا أن نقوم بترتيب آخر. إن فتاتينا هما الوحيدتان اللتان تذهبان إلى المدرسة من هنا، ما يجعل من الصعب مشاركة أحد آخر في ذلك.»

«هذا رائع إذا كنت واثقة من أننا لا نثقل عليك، فقد كان عليّ أن أفكر كيف ينبغي عليّ أن أتدبر الأمر لأتمكن من أخذ لوسي وإعادتها من المدرسة. وكان هذا يقلقني كثيراً ليس الأمر سيئاً بعد الظهر لأذهب لإحضارها، كما أن تركي لها تعود إلى البيت بنفسها هذه الأيام...»

فقالت آن بحزم: «تماماً، حتى انني لا أدع الغلامين يعودان وحدهما، رغم أنهما يصران على أن أدعهما يركبان

www.kidas.com

دراجتيهما لذلك... ولكن الوالدين لا يشعران أبداً بأنهما يحميان أولادهما بذلك، فهما يشعران بأنهما لا يدعان شخصية الأولاد تنمو وتتطور كما يجب، ما يشكل كابوساً للآباء هذه الأيام، أليس كذلك؟ وفي كل مرة تفتحين الصحف تطالعك حقيقة ضعف الأولاد. وبالمناسبة، إذا احتجت يوماً لجليسة ليلة السبت فأنا اقترح أن تأخذي إبنة شقيقتي، فهي فتاة عاقلة ذكية.»

«هذا شيء أضعه في اعتباري، ولكنني أحب أن أرى أولاً سير العمل.»

بعد ذلك بعشر دقائق افترقتا بعد أن قالت آن انه يومها الذي تذهب فيه للتسوّق، وتأوهت قائلة: «كم أخاف هذا اليوم.»

فقالت تانيا: «وأنا أيضاً.»

بعد ذهاب آن، عادت تانيا لقراءة المقالة، ولكن سرعان ما تلاشى سرورها وهي تتذكر المشهد الذي حدث بينها وبين أسرة نيكولاس.

كانت تفهم مشاعره، ولكنها تمنت لو أنه اختار امرأة غيرها لذلك الأمر. لا بد أن كلاريسا لديها صديقات كان بإمكانه أن يستغلهن لغرضه ذاك، وربما كان بإمكانه أن يقنع واحدة منهن بأن تمثل معه مثل هذا الدور بغرض تقوية ومساعدة حياة صديقتها الزوجية.

أما هذا التورط في حياة شخص آخر، فقد كان تعقيداً لم تكن تريده، خصوصاً وهو يحملها إلى مواجهة مع جايمس.

في الحفلة، عندما أخذ ينظر إليها بذلك الشكل من البرودة والاحتقار، تملكتها الدهشة وهي تكتشف كم شعرت لنظراته

الباردة المتأملة، من كراهية، وحاولت أن تتبذ من ذهنها صورته تلك.

صحيح أنه لم يكن من عادتها أن تتصرف بذلك الشكل العنيف إزاء رأي شخص غريب بها، فقد كانت تعلمت منذ الصغر أن لا تهتم بمشاعر الآخرين السلبية نحوها، وكان عليها أن تتصرف بذلك الشكل حين كانت حاملاً بلوسي.

لقد حاولت السلطات، إزاء وضعها المادي السيء ووحدتها في الحياة، حاولت إقناعها بتقديم ابنتها لعائلة غنية، ولكنها رفضت بإصرار، لقد فكرت في أنها اعتادت على مواجهة مشاكل الحياة، وهي لن تكون وحدها. إذ ستكون لوسي معها.

من المؤكد أنها لم تتعود ردة الفعل هذا منها نحو سوء رأي الآخرين بها بالطريقة التي كانت منها نحو رأي جايمس وارن فيها.

لكن لماذا اهتمت برأيه إلى هذا الحد؟ فهو ليس بالرجل الذي تعرفه أو من الممكن التعرف عليه في أي صورة شخصية. كما أنه ليس شخصاً من المحتمل أن يقوم بدور هام في حياتها، وهكذا ما كان لرأيه فيها، سواء كان حسناً أم سيئاً، أن يؤثر فيها بهذا الشكل.

أهي خائفة حقاً من أن يتمكن من التأثير، بنفوذه الكبير، على نجاح عملها؟

نعم، ربما كان هذا هو الأمر. وكانت حماقة منها أن تظن خلاف ذلك، وأن رأيه الشخصي بها يجرحها بصفتها امرأة...

www.baias.com

منذ وقت طويل أدركت أنها ما كان لها أن تظن السوء بالرجال، مبتعدة عنهم بذلك الشكل، لمجرد أن تجربة زواجها كانت سيئة للغاية.

وفي الواقع، كلما صادفت زوجين مثل آن وتوم ورأت مبلغ الاحترام والتعاطف السائد بينهما تشعر بالأسى لحظها الذي لم يسمح لها بالتعرف إلى الرجل المناسب الذي يعامل زوجته بالاحترام والكرم. فاضطرارها إلى الكفاح لأجل نفسها وابنتها لم يسمح لها بالتفكير في إدخال شخص آخر إلى عالمهما المقفل.

وهكذا أمضت مدة طويلة يفترسها الشك بالرجال جميعاً، ما جعلها تظن أن مشاعرها نحو الرجال قد خمدت واحتلت مكانها مشاعرها نحو ابنتها.

مع ذلك، كانت هناك لحظة، ثانية واحدة شعرت بقلبها يخفق وهي تنظر إلى جايمس وارن. كانت شعرت بتلك الخفقات وكأنها إنذار لها. كيف بإمكانها أن تشعر بشيء في رجل مثل جايمس وارن؟ أتراها جنت؟

وبحزم، حدثت نفسها أن ذلك لم يكن سوى نتيجة إرهاق نفسها في القلق أثناء الأسابيع الأخيرة تجاوب مع تهديد جايمس ذاك لها. ثم نكرت نفسها بأن لديها عملاً عليها إنجازه، وأن الأحذية التي كانت طلبتها ووصلت هذا الصباح ما زالت تنتظر إخراجها من صناديقها، وهذا ما ستقوم به عصر هذا اليوم مع لوسي.

كانت قد قررت اصطحاب ابنتها إلى نزهة سيراً على الأقدام، فالهواء النقي سيفيدهما.

لم تعرف هل تشعر بالراحة أم خيبة الأمل عندما أجابتها

ابنتها، فيما بعد، وبغير حماسة، أنها كانت وعدت سوزان بأن تذهب إليها ليلعبا معاً.

فقالت لها تانيا: «يمكنك أن تلعبي معها غداً.» ذلك أنها كانت خائفة من أن تشعر لوسي بالإهمال لها أثناء انشغالها في المتجر.

فقالت لها لوسي باكتئاب: «إن سوزان تذهب للسباحة كل يوم جمعة، إنهم يذهبون جميعاً مع والدهم، وربما يأخذونني معهم أنا أيضاً.»

فقالت لها تانيا بحزم: «ليس هذا الأسبوع، إذا أردت الذهاب للسباحة يمكننا أن نذهب عصر هذا اليوم.»

قالت لوسي: «ليس الأمر نفس الشيء. فلن يكون ثمة من ألعب معه.»

وإذ أخذت تحدث نفسها بأن ابنتها ما زالت في شهر عسر مع صداقتها الجديدة، وأنها بعد فترة لا بد أن تتوقف عن مقارنة كل ما يقوم به أهل سوزان مع حياتها مع والدتها، قالت لها تسترضيها: «حسناً، سنذهب بدلاً من ذلك للتمشي. فنحن لم نتعرف إلى المنطقة بعد، أليس كذلك؟»

كانت قد سبق واشترت خريطة للمنطقة، كان ذلك النهار دافئاً وأوراق الشجر قد غطت الطرقات حين ترجلت تانيا ولوسي من السيارة إلى حيث الطريق التي اختارتاها للتنزه.

كانت طريقاً تتبع طريق النهر ثم تخترق عدة حقول حيث تصل في نهايتها إلى نقطة البداية.

كانت لوسي، في البداية، غير متحمسة لهذه النزهة، ولكنها ما لبثت أن انطلقت تثرثر مسرورة ملقية عشرات الأسئلة.

www.liilas.com

كانت لوسي أول من رأى فرس النهر سابحاً نحو وكره على الضفة. فكان سرورها لا يوصف، وعلى مقربة منهما، قام منزل ذو مداخن مستطيلة، ورأت تانيا جدرانه المصنوعة من القرميد فتنهدت بشيء من الحسد إزاء قدم البناء وجماله.

كان يبدو منزلاً سعيداً لأسرة. ولكنه لم يكن واسعاً جداً، وكانت ما تزال تنظر إليه عندما تأبطت لوسي ذراعها قائلة بلهفة: «انظري يا أمي.»

كان يسرع نحوهما رجل وكلب متدلي الأذنين. أسرعت لوسي بلهفة، وهي المغرمة بالكلاب نحوه. عندما أخذت الفتاة والكلب يتبادلان النظرات بسرور مشترك، سمعت تانيا صوتاً رزيناً لرجل وهو ينادي بحزم: «تعال يا رابير...»

جمدت في مكانها وقد عرفت الصوت، حتى قبل أن يستدير جايمس وارن حول المنعطف ثم يقف فجأة.

«آسف.» أخذ بالاعتذار باقتضاب وقد وقف بعد أن عرفها: «إن سلوك رابير يصبح سيئاً أحياناً، أرجو أن لا يكون أزعجكما.» كانت كلمات مهذبة، ولا شيء وراءها.

سكت وقد زال عبوسه وهو يرى لوسي تضع ذراعها حول الكلب وهي تهمس بحسد: «أليس جميلاً، يا والدتي؟ يا ليت لدينا كلب.»

فتنهدت تانيا. كانا قد تحدثا عن ذلك في الماضي، في ذلك الحين كان اقتناء كلب مستحيلاً بالنسبة إليهما، أما الآن... ربما في الربيع عندما يتحسن سير العمل وتصبحان أكثر استقراراً.

كان جايمس يسأل لوسي: «إنك تحبين الكلاب، أليس

كذلك؟» جلس القرفصاء بجانبها وهو يمنحها ابتسامة كانت من الدفء بحيث جعلت تانيا تشعر فجأة بأنها أصبحت خارج دائرة غير عادية بجمالها. ولاحظت باكتئاب، أنه ما كان ليبتسم لها هي بهذا الشكل. عند ذلك عضت شفتها وقد أدركها القلق لهذه الطريقة الخطرة التي أخذ ذهنها يفكر فيها.

عندما تقدمت إلى الأمام وهي تقول بخفة: «هيا بنا، يا لوسي، إننا لا نريد أن نؤخر السيد وارن.» كان صوتها أكثر اقتضاباً مما كانت تنوي أن يكون.

رفعت لوسي بصرها إليها، شاعرة بالحيرة وشيء من الألم لاستعجال والدتها لها بجرها بعيداً عن صديقها الجديد.

بدا على الكلب نفس الكره لابتعاده عنها، إذ أخذ يرمق لوسي بعينيه الكبيرتين وهو يطلق نبحة صغيرة كئيبة.

تمتم جايمس وارن يقول لها بجفاء: «من المؤكد أنه الحب من أول نظرة.»

فقالت بلهجة لاذعة: «إنها إذن علاقة أخرى لم يكتب لها الاستمرار، أليس كذلك؟»

ارتفع حاجباه، وأخذ يتفرس فيها لحظة بشيء من الارتياب، ثم قال: «يسرني كما يدهشني أن أراك تفكرين بهذه الطريقة. فهذا الكلب لنيكولاس، أو بالأحرى لولديه. وأنا أروضه فقط لأجل كلاريسا وأحاول أن أغرس فيه بعض العادات، ما دام زوجها لا يبدو أن لديه وقتاً لذلك، ولكن ربما الآن وقد بدا عليك أنك سمعت نصيحتي، سيتمكن نيكولاس من تمضية بعض الوقت مع زوجته وأسرته.»

www.liilas.com

حدقت تانيا إليه، أتراه يعتقد حقاً بأنها تلك المرأة التي تتأثر بتهديده؟ أتراه يعتقد حقاً أنها إذا كانت قد تورطت حقاً مع نيكولاس ستسمح له بأن يغيّر عقلها؟

وإذ كانت من الغضب بحيث لم تجبه، نادت لوسي فجأة، لتسرعا بعد ذلك في السير قبل أن تتمكن من التنفيس عن مشاعرها التي كانت تغلي بداخلها.

عندما ابتعدتا عن جايمس وكلبه، سألت لوسي والدتها: «من يكون ذلك الرجل يا أمي؟»

«إنه جايمس وارن. وهو شقيق زوجة نيكولاس.»

فقالت لوسي: «لقد أحببته، كما أحببت الكلب رابير أيضاً. أمي، أتظنين أننا ما دمنا أصبحنا نعيش هنا...»

فقاطعتها والدتها بحزم: «سنفكر في ذلك، فالكلب هو مسؤولية كبيرة يا لوسي، عندما تستقرين في مدرستك وترى سير العمل، عند ذلك نفكر في إحضار كلب.»

• • •

«كيف يسير الحال؟ لقد تركت الفتاتين مع توم، كما أن الغلامين يلعبان الفوتبول، والمفروض أن أكون أنا في المحل، ولكنني تسللت لعدة دقائق لأرى ما تفعلين، آه الأفضل أن أدعك لعملك.»

قالت آن ذلك ضاحكة عندما رأت زبونة تدخل المحل ومعها طفل.

لقد افتتحت تانيا المتجر منذ ثلاث ساعات، وحتى الآن، وجدت تانيا نفسها مشغولة أكثر مما كانت تتوقع.

فقد استمر الزبائن في التوافد، وكلهم كانوا راضين

مسرورين من تمكنها من تقديم نوع الأحذية التي كانوا يطلبونها.

نساء عديدات لم يكتفين بشراء أحذية لأطفالهن، بل أخذن لأنفسهن أحذية وجدتها ملائمة تماماً ومن الطراز الايطالي كانت تانيا غامرت بشرائها. وإذا استمر الازدحام بهذا الشكل، فستكون بحاجة إلى من يساعدها في تلبية حاجات زبائنها، أخذت تانيا تفكر في ذلك عندما ذكرتها آن أن بإمكانها أن تستلم المحل أثناء ساعة الغداء إذا شعرت تانيا بأنها بحاجة إلى فرصة للراحة.

لكن تانيا كانت تشك في حاجتها إلى ذلك والحماسة تملكها إزاء سيل الزبائن المتلهفين. وفي الساعة الثانية عشرة، وصلت آن حسب وعدها. كان المتجر ما زال مزدحماً، فأشارت إلى تانيا، حيث أنها كانت مشغولة مع إحدى الزبونات، بأنها ستنتظر.

كانت المرأة قد دفعت الفاتورة لتوها، وتحولت تبغي الخروج، عندما فتح باب المتجر، وعندما رفعت تانيا بصرها رأت كلاريسا فوربس تدخل وبصحبتها طفلان لا بد أنهما ولداها.

أخذت تنظر إلى كلاريسا بحذر وهذه تتجوّل في أنحاء المكان بشكل عدواني مفسدة نظام الأحذية المعروضة، ومستخفة بالأحذية النسائية. فشعرت تانيا بمزيج من الغضب والخوف يتملكها.

أخيراً، جلست كلاريسا، ولكن تانيا كانت مشغولة مع زبونة مستعجلة كانت تسأل متوترة عما إذا كان بالإمكان أن تجد سعر حذاء لابنتها تحت الثلاثين جنيهاً.

www.liilas.com

كان واضحاً أن هذه المرأة كانت فقيرة، وإذ تذكرت تانيا أيامها السالفة الحافلة بشظف العيش والتقتير لأجل ابنتها، حاولت أن تتلطف مع المرأة هذه وتطمئنها إلى أن لديها مجموعة من أحذية أطفال بالغة الجودة وذات أسعار متهاودة.

من طرف عينيها، كانت ترى صبر كلاريسا آخذاً في النفاد. ولكنها رفضت أن تسمح لنفسها بأن تتأثر بفظاظتها.

وإذ أدركت آن ما كان يحدث، تقدمت إلى الأمام في محاولة لمساعدة كلاريسا، ولكن هذه قالت بغلظة: «كلا، لا يمكنك مساعدتي. ما الذي تعرفينه عن الأحذية الملائمة؟ أريد المديرة.»

حتى الطريقة التي وصفتها بها، كانت على شيء من الازدراء، وشعرت تانيا بالغضب، عندما انتهت أخيراً من زبونتها تلك، تقدمت إلى كلاريسا تسألها عما تريده.

كانت شبه مستعدة لما يحدث عندما أعلنت كلاريسا، بعد أن أصرّت على تجربة كل حذاء في المتجر ورغم ما شعر به الولدان من إحراج، أعلنت بصوت عالٍ أنها لم تجد أي شيء مناسب.

من خلفها، سمعت تانيا صوت الباب يُفتح، وإذا بكلاريسا والتي كانت مواجهة له، تنحني ثم تلتقط زوجاً من الأحذية كانت تركته زبونة سابقة وكان واضحاً أنه ليس ملائماً لأي من ولديها، وقبل أن تتمكن تانيا من إيقافها عن ذلك، أصرت على تجربة واحد منهما على قدم أكبر ولديها، وهي تصرخ بصوت ثاقب: «آه، أيتها المرأة الغبية، إن كل

شخص يمكنه أن يرى أنه حذاء غير ملائم. حقاً إن ذلك شيء مضحك... كنت أظنكم متدربين كما يجب.» ثم وقفت وقد تبدد غضبها وهي تهتف: «جايمس، لا فائدة. علينا أن نذهب إلى تشستر إنني أعلم أنك تفضل تشجيع البضاعة المحلية، ولكن هذه المرأة ليست كفئاً على الاطلاق.»

كان المتجر مليئاً بالزبائن، وشعرت تانيا بوجهها يتوهج غضباً وحرجاً، إن آخر ما كانت تريده هو اكتشافها أن جايمس وارن كان واقفاً خلفها مباشرة، وهو ينظر بصمت إلى سلوك شقيقته الفظيع.

للحظة واحدة فقط، وجدت تانيا نفسها ترتجف وعلى وشك فقدانها لأعصابها فتخبره عما كانت شقيقته تريد نشره من فرضي، ولكنها ما لبثت أن أدركت أن ذلك سيكون إضاعة تامة للوقت، إذ أنه سيساند شقيقته حتى أنه قد يشجعها على ذلك.

تجاهل تانيا وأخذ يشمل بنظره المشهد بأكمله وقد قطب جبينه، ثم سأل بحزم: «أين نيكولاس؟ كنت أظنه سيخرج بك وبالولدين إلى النزهة هذا النهار.»

فقالت كلاريسا بحقد: «آه، إنك تعرف نيكولاس فإنه من الانشغال بحيث لا يزعج نفسه في التفكير بنا. أما أين يمكن أن يكون، لماذا لا تسأل السيدة كارتر عنه هنا؟ إنني واثقة من أنها تعرف عنه أكثر كثيراً مما أعرف أنا.»

وإذ رأت تانيا مبلغ ما جذبوا إليهم من أنظار وفضول المرجودين، قالت بكل ما أمكنها بسرعة وحياد: «إنني آسفة إذا لم نستطع خدمتك، يا سيدة فوربس.»

ولكن من الواضح أن عملها هذا كان خطأ، لأن كلاريسا

www.liilas.com

فيما كان جايمس يمد يده إليها، التفتت إلى تانيا وقالت بمرارة: «آه، أراهن على أنك كذلك، تماماً كما كنت آسفة لأنك على علاقة مع زوجي.»

شهقت تانيا دون وعي، شاكرة أن لا أحد آخر بدا أنه سمع همس كلاريسا بذلك، لا أحد سوى جايمس وارن والذي كان ينظر إليها الآن بكراهية وبرودة.

«لا فائدة يا جايمس، لقد رفضت كلياً أن تتخلى عنه،» قالت كلاريسا ذلك لشقيقها وقد اغرورقت عيناها بالدموع ولكنسى وجهها بالشعاسة والتفجع، ولو لم تكن تانيا تعرف الحقيقة، لشعرت نحوها بعطف صادق، فتحت فمها لتقول أنها لم تقل شيئاً كهذا، إلا أنها عادت فأطبقته.

إنها لن تحشر نفسها في مشاجرة، لن تهبط إلى مستواهما، لن تلوث نفسها بأكاذيبهما وخداعهما، حدقت إلى جايمس بكبرياء تقرب من الغطرسة، تتحداه بنظراتها.

مضت لحظة ظنت فيها أنه سيرد عليها، يقول شيئاً وربما يقوم بتهديد آخر، ولكن لدهشتها وارتياحها، بدا وكأنه غير رأيه إذ أمسك بذراع كلاريسا بحزم وجرها نحو الباب.

تبعتهما تانيا إلى هناك، دون وعي منها، متلهفة إلى خروجهما، ولكنها لم تلبث أن تمنت لو أنها لم تفعل، ذلك أن جايمس فتح الباب لكلاريسا ولوديها ثم التفت إليها وقال بجمود: «يبدو أنك مصممة على تجاهل تحذيري لك، كل ما أرجوه هو أن تكوني مستعدة تماماً لمواجهة النتائج وأثناء تفكيرك بذلك، ربما تخصينهما بشيء من تفكيرك كذلك.» وأشار إلى الولدين.

ضغطت تانيا شفتيها معاً، راغبة في الرد على الإهانة بالمثل، ولكن ما الفائدة من الدفاع عن نفسها حين لا يريد أن يصدقها؟

وهكذا استدارت عائدة إلى المتجر متوجهة لخدمة زبونة أخرى، رافضة الاستسلام إلى ما شعرت به من اشمئزاز بعث الرجفة في نفسها.

عندما فرغ المتجر من الزبائن، جاءت آن إليها تسألها بلهفة: «ما سبب كل ما حدث؟»

كانت تانيا أكثر إرهاقاً من أن تتمكن من إخفاء الأمر، فقالت بلهجة متعبة: «إن كلاريسا فوربس تظن أن بيني وبين زوجها علاقة.»

«هي تظن ماذا؟»

كان ذهول آن بالغاً، وكذلك عدم تصديقها ما شعرت تانيا معه بجزء من العبء الذي يثقل كاهلها، يخف.

وقالت: «إنه أمر سخيف، أليس كذلك؟ إنه مستشاري القانوني وهذا كل شيء.»

قالت آن بصراحة: «حسناً، لو كنت أنا جايمس لاهتممت بشكل جاد بشقيقته تلك، فهي غيور على الدوام، وخاصة على جايمس، ولكن أن تفترض ذلك دون أي اثبات... إنها دوماً ذات طبيعة هستيرية.»

قالت تانيا وهي تشعر فجأة برغبة في التخلص من العبء الذي يثقلها: «إن ذلك ليس ذنبها وحدها. إن جزءاً من اللوم يقع على عاتق نيكولاس.»

ثم أخذت تروي لها ما فعله.

مقولين إنه تعمّد أن يقول لها أنك وهو... وذلك دون

علمك؟ يا للرجل الأحمق، كان عليه أن يعلم كيف ستكون ردة الفعل لديها.»

فقالت تانيا: «لقد أخبرته بأن عليه أن يخبرها بالحقيقة، ولكن يبدو أنها لم تصدقه.»

«حسناً، قد لا تصدقه. ولكن لا بد لجايمس من أن يتمكن من اقناعها...»

صمتت تانيا فترة طويلة جعلت آن تقطب جبينها ثم تسألها برقة: «ما هذا؟ ما الذي قلته أنا؟»

«لا شيء، حقاً. كل ما في الأمر أنه لا يصدق نيكولاس هو أيضاً. فجاء إليّ هنا منذ أيام مهدداً أن يدمّر عملي إذا أنا لم أترك نيكولاس.»

«سيفعل ماذا؟ لا أستطيع تصديق ذلك.»

فقالت تانيا: «هذه هي الحقيقة.»

نظرت إليها آن لحظة، ثم قالت: «حسناً، طبعاً فقد كان دوماً حامياً لكلاريسا. فقد كانت هناك شائعات كثيرة عندما مات والديهما، همسات بأن كلاريسا أصيبت بانهيار كامل، وهي طبعاً من ذلك النوع، ولا شك إذا كان صحيحاً، أن جايمس ينبغي أن يحميها من أي نوع من قلق المشاعر. ولكن علاجها، في الواقع، هو بين يديها. ومهما كان أسفي لما فعل نيكولاس، فلا شك أنها لم تعامل الرجل المسكين ذاك، بشكل جيد.»

فقالت تانيا: «كلا، ولكنني لا أملك إلا أن أتمنى لو أنه وجد امرأة أخرى يدعي أنها صديقته. إنني قلقة، يا آن.» قالت ذلك بصراحة أدهشتها هي نفسها وهي ذات الكبرياء والتي كانت تتوخى دوماً الاعتماد على نفسها إذ كانت

تحاذر من الافضاء إلى أي أحد بمشاكلها الخاصة، ولكن هذا يظهر إلى أي مدى أخافها جايمس وأخرجها عن اتزانها ما جعلها تفضي إلى آن طالبة منها النصيحة.

«هذا المتجر إن هو إلا مغامرة إذا فشل في التجارة.»

فقالت آن بقوة: «إنها لن تفشل. وإذا كنت قلقة بالنسبة للمشهد الذي خلقته كلاريسا، فأنت مخطئة فلا أحد سيهتم مثقال ذرة بما تقوله. فهي ليست محبوبة تماماً محلياً... بعكس جايمس.»

قالت تانيا: «كلا، ولكن ليست كلاريسا التي تقلقني.»

فقطبت آن جبينها: «لا أظنك تحملين تهديد جايمس على محمل الجد، آه يا تانيا إنني واثقة من أنه لا يعني ذلك. فهو ليس من ذلك النوع من الرجال أظنه كان فقط يشعر بالقلق واللهفة على كلاريسا. ولا شك أنها أوجعت قلبه في المنزل ما جعله يأتي إليك لتهديدك، صدقيني أنه أحد ألطف وأرق وأصدق الرجال. عندما كنا نمر بأزمة صعبة، كلف توم بإعادة دهن منزله بأكمله، وذلك التكليف أنقذ حياتنا.»

فقالت لها تانيا: «إنه لا يريدني هنا... ربما يعتبرني غريبة... صاحبة مشاكل.»

نظرت آن إليها بأسى: «كلا، إنني واثقة من أنك مخطئة. عندما يتحدث نيكولاس إليه...»

«لم يشكل هذا أيّ فرق. فهو ما زال يظن أن نيكولاس صديقي.»

اختنقت بالدموع. فقالت آن تخفف عنها: «لا تحزني، فأنا واثقة من أنه إذا كان قد هددك، فذلك كان في غمرة النقاش...»

www.liilas.com

سكتت عندما دخلت زبونة إلى المتجر، تتبعها اثنتان، فنظرت في ساعتها قائلة إن عليها أن تذهب.

بعد أن شكرتها تانيا لمساندتها لها، استدارت إلى الزبونات الجدد.

قد تظن آن أن جايمس وارن هو أحسن رجل في العالم، ولكنها هي لا تشاركها رأيها. فلولا مساندته لكلاريسا، لقبلت هذه بسرعة نفي نيكولاس أي علاقة بينهما.

الفصل الخامس

كان لدى تانيا الكثير مما يشغلها، وعندما أغلقت الباب خلف آخر زبونة، كانت الساعة قد أصبحت السادسة.

فكرت في الذهاب إلى منزل آل فيلدينغ لإحضار لوسي.

لم تشعر بمثل هذا التعب في حياتها، ولكنها كانت شاكرة لكون تعبها هذا هو نتيجة نجاح في عملها فاق كل توقعاتها.

لم تكن تأمل، بالطبع ان يستمر العمل بهذا الشكل، ولكنها كانت بداية حسنة، ومع اسبوع آخر قبل أن يعود كل التلامذة إلى المدارس، فهي تأمل، على الأقل ان يستمر العمل بشكل محدود، سيكون هناك بعض الركود، طبعاً، ولكن ذلك لن يكون إلا لفترة قصيرة ما دام العيد على الأبواب.

فكرت في كل الأحذية الطويلة المتألقة التي تقدمت بطلبها، وأحذية الثلج، والمشمعات الواقية من المطر والحذية الرقص الجميلة، وعندما اقفلت باب المتجر مسرعة نحو منزل آل فيلدينغ، اكتشفت انها قد خططت ذهنياً، شكل واجهة المتجر للعيد.

في طريق عودتها إلى بيتها حاولت أن تركز افكارها على ثرثرة لوسي، ولكن افكارها تلك كانت تنصرف مرة بعد مرة إلى الشجار الذي حدث في المتجر، وتلك النظرة القاسية الباردة التي رمقها جايمس بها.

من السخافة أن تشعر بكل هذا الخوف، ثم ماذا بإمكانه

www.kilas.com

أن يفعل؟ هل يشيع عنها انها سارقة أزواج؟ ومن يهتم بذلك في هذه الأيام وهذا العصر؟ كل ما سينتج عن ذلك هو إثار أقاويل من نوع هو مؤلم لكاريسا بقدر ما هو مؤلم لها.

ماذا بإمكانه أن يفعل غير ذلك؟ ان يدمّر عملها وارتجفت، عليها ان تخبر نيكولاس بأن يجد طريقة يقن بها ليس كلاريسا فقط بل جايمس أيضاً بأنه كان يكذب ولكن هل سيفعل ذلك؟ لقد كان وعدها بأنه سيقوم الأمور ولكنه حتى الآن...

لأنها كانت قد قررت قضاء بقية المساء في القب بحساباتها، فقد استأجرت شريط فيديو يحوي أحد افلا لوسي المفضلة، وبعد العشاء احضرت آن ابنتها سوزا لتجلس مع لوسي، ثم قالت لتانيا قبل أن تتركها: «إذا كنت تزالين قلقة بالنسبة لجايمس، فكفّي عن ذلك، فهو سرعا ما يكتشف انك لست من النوع الذي يتورط في هكذا علاقا وفي الواقع لم اعرف امرأة مثلك لا تهتم بالرجال، انني احاول ان اتدخل في شؤونك يا تانيا، ولكن إذا انت حاول ان تقابلي جايمس بنفسك وتشرحي له الأمر...»

فقاطعتها تانيا بعنف: «كلا، فهذا لا ينفع، وهو ل يصدقني على كل حال، ثم انني لا أدري اين يسكن أو...»

اجابتها: «هذا سهل، ان لديه منزلاً رائع الجمال في ضاحية المدينة. وهو يشرف على النهر، لا بد انك سو ومررت به.»

أدركت تانيا انه المنزل الذي كانت وابنتها قد مر بجانبه حين ذهبتا إلى النزهة، وكانت في ذلك الحين فكرت في هوية أصحابه.

قالت آن برقة: «انها مجرد فكرة فقط، ساعود لأجل سوزي حوالي الساعة التاسعة، إذا كان هذا يناسبك.»

عند التاسعة كانت تانيا تشعر بالتوتر البالغ من التفكير. وأدركت ان هذا النهار يمثل قمة النجاح. وكانت مسرورة لنجاح رأيها في أي من الأحذية قد تعجب زبائنها.

بعد ذلك بساعة، وبعد أن ودعت آن ووضعت لوسي في فراشها، حدثت نفسها بأن عليها هي أيضاً ان تنام باكراً، لقد كانت مرهقة بينما كانت عقلياً متيقظة إلى حد سيء وذلك كما اكتشفت عندما اصبحت في السرير، ولكن هذه اليقظة لم تكن سعيدة... فقد كانت افكارها تدور حول كلاريسا فوربس... وليس كلاريسا فقط بل جايمس أيضاً.

لم يكن نيكولاس محقاً مطلقاً في توريطها في حياته الزوجية بهذا الشكل، هذا إضافة إلى ما اخذت تشعر به من الظلم لاستغلالها بهذا الشكل دون ان يفكر في ما قد يجره عليها ذلك من نتائج وخيمة.

تغيرت نظرتها إليه من شخص تميل اليه قليلاً، إلى شعور قوي بأنه شخص ضعيف الخلق قد يكون ساهم في ازدياد المشاكل لحياته الزوجية بقدر ما ساهمت به زوجته.

إنه يدعي بأن كلاريسا تعتبر شقيقها في المكان الأول، وأنه بصفته زوجها في المكان الثاني، ولكن كلاريسا، تحبه كما يظهر، وإلا فلماذا تتمسك به بهذا الشكل؟ فكرت وقد تملكها التعب، انهما يستحقان ان يضرب رأس احدهما برأس الثاني، وتقلبت محاولة ان تنام شاعرة بالسرور لأن اليوم التالي هو الأحد ما يمنحها وقتاً كافياً للإسترخاء والراحة.

www.liilas.com

كانت على وشك الاستسلام للنوم، عندما سمعت صوت زجاج يتهشم تبعه زعيق جهاز الإنذار الذي اوصلته حديثاً في المنزل، وعلى الفور، كانت خارج السرير مندفعة إلى النافذة وذلك في نفس الوقت الذي رأت فيه شخصاً يركض هارباً.

منعها الغضب الشديد من الحذر، فشدت معطفها المنزلي حولها وركضت تهبط السلم إلى الطابق الأسفل، حيث فتحت الباب المؤدي إلى المتجر واشعلت النور.

كانت الواجهة مغطاة بحطام الزجاج بينما جهاز الإنذار مازال يرن بفزع، وفي منتصف الزجاج كانت هناك ثغرة حيث لم يكن الزجاج وحده هو المكسور بل الإطار الخشبي أيضاً.

تملكتها صدمة، فوقفت وقد تملكها الدوار، تحدق إلى الواجهة، وكان رنين جهاز الإنذار يضغط على أعصابها، محطماً قوتها للتفكير بشكل عقلاني.

كان جهاز الإنذار متصلاً مباشرة بمخفر الشرطة. هل معنى ذلك انهم سيأتون، أم ان عليها أن تتصل بهم هاتفياً؟ ماذا لو ايقظ صوت الجهاز لوسي وأخافها؟ عليها ان تصعد إلى الشقة وترى... ولكن إذا هي تركت المتجر، ألا يعود الشخص الذي كسر الواجهة؟ يبدو ان رنين الجهاز قد أخافه فهرب.

لم يكن لديها فكرة عما إذا كان أي من الأحذية قد فقدت من الواجهة، لكنها تذكرت، وقد توترت اعصابها، ان إيراداد اليوم هي في الطابق الأعلى في غرفة الجلوس، حيث كانت في صندوق النقود المقفل. ولكن مع هذا سيكون عليها أن

تأخذ الإيرادات كل مساء إلى المصرف. لم تجرؤ على التفكير في ما قد يكون حدث لو لم تسمع صوت جهاز الإنذار ذاك... وصعد اللصوص إلى البيت...

أخذت ترتجف خوفاً وضعفاً. وسمعت صوت سيارة تسير في الشارع، فتوترت اعصابها، ولكنها ما لبثت أن شعرت بالإرتياح وهي ترى سيارة الشرطة بألوانها المألوفة.

عندما خرج السائق من السيارة وقد قطب جبينه لرؤية الواجهة المحطمة، تقدمت إلى الأمام بشكل آلي، وإذ رآها أشار اليها بالعودة وهو ينكرها من خلال الواجهة: «انك حافية القدمين، والأرض مغطاة بشظايا الزجاج. هل هنالك طريقة أخرى يمكنني بها الدخول؟»

أشارت إلى الباب الخلفي وهي ترتجف، ثم ذهبت لتفتحه له.

عندما أصبح في الداخل، سألها: «ماذا حدث؟»

أخبرته بما حدث، باختصار، وعن الشخص الذي شاهدته هارباً.

قالت: «قد يكون مجرد مخرّب.»

«ربما، ولكن هذا شيء لم نتعود حدوثه عندنا، قد تحدث مشاجرات بين فتيان هنا وهناك... ولكن تحطيم واجهات لمتاجر... من حسن الحظ أن لديك جهاز الإنذار ذاك.»

«نعم، لقد اصرت شركة التأمين على ذلك.»

«حسناً، لا اظن كان لديك الوقت لتري إن كان ثمة شيء منقود، أليس كذلك؟»

فقالت: «نعم.» وكانت قد أخذت تشعر بدوار غير عادي.

www.kitab.com

وإذ رأى شحوبها البالغ سألها: «هل تشعرين بشيء؟ انها الصدمة أو ما أشبه... هل زوجك...؟»

فقالت بسرعة: «ليس لدي زوج، أيمكنني الصعود إلى الطابق العلوي لأرى ابنتي الصغيرة؟ ربما هي خائفة إذا كان صوت جهاز الإنذار قد أيقظها.»

«نعم، اصعدي، لا يمكنني القيام بشيء هنا اكثر من أن نحافظ على الواجهة، انك تريدين موظفي شركة التأمين أن يروها، أليس كذلك؟ هل لديك من يأتي ويمضي بقية الليلة معك؟»

وإذ رآها تجفل، قال يطمئنها: «لا اظن الفاعل سيعود، ولكن لا بد انك تشعرين بشيء من الخوف.»

فقالت: «هذا لطف منك. ولكنني سأكون على ما يرام.»

كانت قد أقفلت جهاز الإنذار عندما ذهبت تفتح له الباب، ولكنها الآن وإزاء شخصيته الواثقة المطمئنة، اخذت تشعر بالصدمة تخف قليلاً.

عندما صعدت إلى غرفة لوسي واكتشفت انها مستغرقة في النوم، قدمت إلى الشرطي فنجان شاي، وبمساعدته أخذت تتفقد الواجهة حيث اكتشفت أن لا شيء قد فُقد، في الواقع.

قال: «ومع ذلك فقد احدثوا كل هذه الفوضى، أليس كذلك؟ هذا مؤسف، لأن واجهة المتجر الحسنة تجذب الزبائن دوماً، ولا أظن بإمكانك إعادة هذه إلى ما كانت عليه قبل أسبوعين على الأقل.»

كانت هذه النقطة لم تخطر ببالها من قبل، ولكنها أدركت أن الحق معه، من الذي يحاول ان يشتري احذية للأطفال من

متجر واجهته محطمة؟ شعرت بالبرودة تتملكها وهي تتذكر مبلغ ما كانت عليه الواجهة من تنظيم وجمال وكم عليها أن تنتظر لتعيدها إلى ما كانت عليه، وهذا الذي حدث، رغم عدم فقدان شيء، إلا انه سيؤثر على البيع بشكل جدي.

تذكرت تهديد جايمس، وقد شعرت بالاضطراب، لم يكن هو من رأته يركض هارباً، بالطبع، ولكن هل من الممكن أن يكون هو وراء هذا الهجوم على متجرها، على عملها، وعلى أمنها؟ وأخذت ترتجف، فنظر إليها الشرطي وقال باهتمام: «هل أنت واثقة من أنك بخير؟»

قالت كاذبة: «إنني بخير تماماً.» واندفعت بها الأفكار، ماذا لو كان هذا بداية سلسلة من الإرهاب ضدها؟ ماذا لو... ولكنها ما لبثت ان اخذت تحذر نفسها بعد أن رأت أفكارها تهدد بالإنطلاق دون توقف، حتى ولو كان هو المسؤول، فهي لن تستسلم... إنها لن تدعه يخيفها، فهي لم تفعل شيئاً تؤاخذ عليه.

مضى اكثر من ساعة قبل ان يغادر رجل الشرطة المكان، بعد أن اخبرها بأنهم قد لا يعثرون على الجاني على الاطلاق، ثم أوصاها بأن تقفل الأبواب خلفه جيداً.

بعد ذلك، بالطبع، اصبح مستحيلاً عليها أن تعرف معنى النوم، وهي لن تستطيع الإتصال بشركة التأمين قبل يوم الاثنين... وذلك قبل ان تتمكن من القيام بأي شيء.

وعندما أوشكت أخيراً على النوم، شعرت وكأن سحابة سوداء ضخمة ابتلعت عالمها بأسره.

حتى في احلك لحظات حياتها الماضية، حتى عندما علمت بأنها حامل بلوسي في نفس اليوم الذي جاءها فيه

www.liilas.com

خبر موت زوجها، حتى عندما واجهت حقيقة أنها ولوسي عليهما دوماً ان يواجها العالم بمفردهما، لم تشعر بمثل الضعف والخوف اللذين تشعر بهما الآن.

هل جايمس وارن هو المسؤول؟ أي نوع من الرجال بإمكانه أن يقوم بعمل كهذا؟ لا بد أنه يعلم كم يخيفها عمل كهذا، لا بد أنه كان يعلم، ولكن ما الذي يجعله يشعر نحوها بالرحمة أو الشفقة؟ لقد أراد إرهابها، بث الرعب في نفسها... أراد أن يؤذيها.

في الصباح لم تشعر بأي تحسن، اما آن والتي زارتها بعد أن رأت واجهة متجرها المحطمة وهي في طريقها إلى مكتب البريد، فقد كانت مليئة بالبشر والتفاؤل. إن توم يعرف جيداً موظف شركة التأمين المسؤول عن تانيا. وهي واثقة من انه سيتصل به هاتفياً طالباً منه القدوم.

قالت لها: «اما بالنسبة إلى اصلاح الواجهة، فأنا لا اظنها من السوء كما تبدو، وأنا واثقة من ان بإمكاننا القيام بشيء بالنسبة إلى ذلك، لا بد ان الرعب قد تملك عندما سمعت الضجة، من يمكن ان يقوم بهذه الفعلة؟ لم يحدث شيء كهذا في مدينتنا من قبل.»

كادت تانيا ان تفضي بشكوكها، ولكنها تذكرت حماسة آن وهي تثني على مزايا جايمس وارن، فأمسكت لسانها، وبعد فليس لديها ما يثبت تورط جايمس في الأمر.

لكنه كان هددها، وارتجفت، فقالت آن بحرارة: «اسمعي، لماذا لا تأتيان معي. أنتما الاثنتين وساجعل توم يتصل هاتفياً بلاري بارنز على الفور.»

قالت تانيا لها بحزن: «أواه، يا آن، يبدو انني دوماً اجلب

اليك مشاكلي؟ ان افراد اسرتك سيضايقهم جداً منظرنا لوسي ولنا.»

«كلام فارغ، وبعد ما فائدة الأصدقاء إذن؟»

كان لاري بارنز رجلاً في منتصف الخمسينات من العمر، ذا طباع هادئة واثقة.

طمأن تانيا إلى ان لا مشكلة مع شركة التأمين في هذا الشأن، فهم سيصلحون لها الواجهة بالشكل الذي يعجبها، وهو يعرف شخصاً سيقوم بذلك على الفور.

مع ذلك كانت تانيا تشعر بأن ما حدث قد اصابها بتوتر الأعصاب بشكل بالغ.

في مساء الأحد، عندما كان عليها أن تكون في سريرها، رأت نفسها مازالت تطوف في غرفة جلوسها غير قادرة على الارتياح، خائفة من ان تذهب إلى فراشها فيعيد مهاجمو الليلة الماضية، الكرّة.

أخيراً عند الواحدة تمكنت من اقناع نفسها بأنها إذا لم تستطع اخذ قسط من النوم، فلن يكون بإمكانها العمل، ولكن نومها مع ذلك، كان متقطعاً مليئاً بالمخاوف والهواجس، ما جعلها تستيقظ عدة مرات في الليل وقلبها يخفق وقد جف فمها من التوتر.

كان العمال صباح الاثنين يقومون بعملهم في اصلاح واجهة المتجر، بينما هي في غرفة جلوسها في الطابق العلوي، عندما طرق شخص ما باب الغرفة، وعندما فتحته إذا بنيكولاس يقف عند العتبة.

قال لها: «سمعت هذا الصباح عما حدث من محاولة الهجوم على المتجر، ما الذي حدث؟ هل أنت بخير؟»

www.liilas.com

فقالت تطمئنه وهي ترى ما هو عليه من انهاك وتوتر: «إنني بخير.» وعندما قدمت إليه فنجان قهوة، اخذت تفكر في ما إذا كان هو يشك مثلها، في احتمال كون جايمس وراء هذا العمل.

جاءت لوسي عندما سمعت صوت نيكولاس فابتسمت له بخجل، مستجيبة بمودة حذرة لأسئلته، وقالت تانيا أن لوسي ستدخل المدرسة بعد ايام.

قال لها وهي تناوله فنجان القهوة: «انني لم احضر إلى هنا لأجل ما حدث لك، فقط. فقد حدثني ابني أليك عما كانت كلاريسا فعلته هنا يوم السبت، وأنا أريد ان اعتذر إليك.»

لم تشأ تانيا ان تتحدث بانطلاق في هذا الأمر مع وجود لوسي في الغرفة، رغم ما بدا من انها مستغرقة في قراءة كتاب، وإنما اكتفت بالقول بلهجة ذات معنى: «إنني واثقة من انها عندما تعرف الحقيقة وتتقبلها، فلن يحدث ذلك مرة أخرى.»

فقال وهو يهز كتفيه باستسلام: «انها لم تعد تستمع إليّ. فهي لا تنفك تهددني بتركي وأخذ الولدين معها، وهي تصور هذه المشاهد المريعة دون ان تقبل الاستماع لما اقوله. فهي دوماً متوترة الأعصاب. وقد حاولت ان انصحها باستشارة طبيب فرفضت، لقد كانت أصيبت بانهيار عصبي عند موت والدتها، وأنا خائف جداً من...»

فقطبت تانيا جبينها، هل من الممكن أن يكون هذا هو السبب في سلوك كلاريسا وليس مجرد كونها امرأة مدللة اعتادت الحصول على كل ما ترغب فيه؟

«هل تحدثت مع جايمس عن هذا الأمر؟» ألقت عليه هذا السؤال بشيء من الاهتمام.

كانت بينها وبين نفسها، تفكر في ان كلاريسا إذا كانت تعاني من نوع من عدم الإتزان العاطفي، فمحاولة نيكولاس التعامل معها بادعاء علاقة مع امرأة أخرى لم يكن عملاً عقلانياً منه، ولكن تانيا كانت تعرف بأن الرجال نادراً ما يفهمون المرأة، كما ان الرجال معروفون بكراهيتهم للتعامل مع المشاكل التي تشترك فيها لمشاعر، سواء منهم أم من شخص آخر.

أجابها: «آه، إنه دوماً ينحاز إلى كلاريسا، مهما قلت له، ربما كان يظن انني احاول اذلالها، وهي طبعاً حسنة الطباع حين يكون جايمس موجوداً.»

ان الطباع الحسنة لم يكن هو الوصف الذي كانت كلاريسا تتحلى به يوم السبت، فاصرت قائلة: «ولكن، هل فكرت يوماً في انها ربما كانت مريضة بشكل خطير؟ وأنها إذا كانت قد عانت سابقاً من انهيار عصبي...»

«لقد حاولت التحدث اليها في هذا الموضوع، ولكنها كانت دوماً تعارضني قائلة إنني احاول التخلص منها، وذلك بحبسها في مصحة نفسية، إن الوضع بأكمله لم يعد بالإمكان السيطرة عليه، لم أعد اعرف إلى اين أذهب، حتى انني اخذت اتساءل عما إذا كنت أنا.. من يسبب لها المشاكل، وما اذا كانت حالتها لا تتحسن من دوني.»

زاد عبوس تانيا، لقد كانت ابتدأت تدرك أن نيكولاس، وهو الرجل الرصين والهادىء، كان هو أيضاً قد نشأ مدللاً كزوجته، فهو كطفل صغير، ربما كان يعاقبها لأنها لم تكن

www.liilas.com

تمنحه ما يريده من حب ورعاية، ربما كان على كل منهما أن يتزوج شخصاً أقوى مزايا وتفهماً وأكثر قدرة على التعامل مع ضعفهما وعدم شعورهما بالأمان، فهي مثلاً لا تستطيع ان تتصور رجلاً مثل جايمس يتصرف مع عدم عقلانية كلاريسا الواضحة بطريقة نيكولاس.

وربما لا عجب أن تتوجه كلاريسا غالباً بمشاكلها، من زوجها إلى شقيقها.

قالت لنيكولاس: «ان لديكما طفلين، وهما بحاجة إليكما، انتما الاثنين، فإذا لم يكن بإمكانك اقناع كلاريسا بأن تستشير الطبيب، إذن فأرى ان تقضي بما في نفسك إلى جايمس، وأثناء ذلك، هل لك أن تخبره من فضلك، أن ليس بيني وبينك أية علاقة؟» اضافت ذلك بصوت خافت.

وإذا بلوسي التي كانت جالسة على أريكة بجانب النافذة، ترفع رأسها فجأة قائلة: «والدتي، هنالك سيارة ضخمة تقف في الخارج وينزل منها رجل متوجهاً إلى المتجر.»

سارت تانيا إلى النافذة لتنظر منها وانضم اليها نيكولاس.

صعدت من بين شفتيها شتيمة وهي تقول: «انها سيارة جايمس، ما الذي يفعله هنا؟»

تملكها الإستياء، أتراه جاء لكي يرى ردة فعلها إزاء تهديده؟ لكي يعترف بأنه المسؤول عن الدمار الذي حدث لمتجرها؟ أم ربما ليوجه المزيد من التهديدات اليها، لكي يبعث في نفسها المزيد من الخوف؟ كان يستحق ان تخبر الشرطة عنه، تملكتها المرارة وهي تفكر في ذلك، ولكن من غير المحتمل ان يصدقوها، فلماذا يفكر رجل اعمال بمثل

ثرائه وأهميته، في ان يحطم واجهة متجر شخص آخر عديم الأهمية مثلها؟ كلا... ما كان ذلك ليفيدها مثقال ذرة.

قالت: «الأفضل ان أنزل لأرى ما يريد...» ولكنها سكتت عندما تصاعد طرق على باب غرفة الجلوس.

عندما فتحته جعلت نظرته اليها الدم يجمد في عروقها، كانت نظراتهما المتبادلة تحمل العداء والمرارة، توهج وجهها وهو يمر بها متجهاً نحو نيكولاس قائلاً: «نيكولاس، اظنني رأيت سيارتك في الخارج، هل لك ان تتركنا، يا سيدة كارتر؟» طلب منها ذلك بوقاحة خنقت احتجاجها قبل ان تنطق به، بينما كان يتابع: «وهذا قرار حكيم إذ من المفروض ان نيكولاس هنا بصفته مستشاراً قانونياً.»

عبس نيكولاس فيه، قائلاً: «انني لست هنا بأي صفة عملية، يا جايمس، إنما سمعت بمهاجمة المتجر، ومن الطبيعي أن آتي لأطمئن إلى أنها بخير.»

فقال جايمس عابساً: «من الطبيعي؟» والتوى فمه باستخفاف وهو ينقل نظراته من وجه نيكولاس العنيد إلى وجه تانيا الغاضب المتوهج فتابع: «إنني واثق من ان هذه لباقة كبرى منك، ولكن بما انك الآن طمأنت نفسك إلى أن السيدة كارتر لم يؤثر عليها ما قام به بعض الأحداث المتمردين، ربما يهمك ان تتذكر ما كنت وعدت به زوجتك وطفليك من اخذهم إلى تشستر لتناول الغداء.»

«آه، نعم، فقد نسيت. إن عليّ ان اذهب يا تانيا.»

تقدم نحو تانيا يصافحها مودعاً، ولكنه تعمد ان يأخذ يدها بين يديه يهزها بحرارة لم تكن تتوقعها. ما جعلها،

www.hiflis.com

ودون وعي منها، تنظر إلى جايمس لترى تأثير ذلك عليه. ارتجفت للنظرة القاسية الخطرة التي رمقها بها، وحاولت ان تقاوم جبنها بأن تفتح فمها لتقول له انه مخطىء، وأن الأمر ليس كما يظن... وكذلك ليس ما تريده... ولكن العناد والكبرياء اسكتاها، وجعلها تمنح نيكولاس ابتسامة اكثر رقة بكثير مما اعتادت معه.

وإذ كانت متلهفة لعدم البقاء وحدها مع جايمس لئلا يكرر تهديده أو إهاناته لها، تعمدت النزول مع نيكولاس إلى الطابق الأسفل، وهكذا لم يبق امام جايمس من خيار سوى مرافقتهما إلى حيث قالت بحزم: «كان من الشهامة منك أن تزورني، يا نيكولاس، وأرجو ان تستمتع بغدائك.» ثم تحولت إلى جايمس لتقول ببرودة: «حيث انك الآن حصلت على ما جئت لأجله، يا سيد وارن، فأنا واثقة من انه لم يعد هناك سبب يدفعك إلى البقاء.»

رأت الغضب في نظراته. وعندما ابتعد نيكولاس عنها، وقف هو امامها بحيث لا يرى نيكولاس التعبير الذي بدا على ملامحه أو يسمع ما يقول: «قد تظنين نفسك ذكية للغاية، ولكن حاولي، حاولي ان تفكري في هذا، وهو انك لا تؤذين شقيقتي فقط، انك تعلمين انها ونيكولاس، لديهما ولدان هما بحاجة إليهما معاً.»

ردت عليه بغضب بالغ: «أحقاً؟ حسناً، تبعاً لأقاويل الناس، ليس من المحتمل ان يفتقدا والدهما ما دام لديهما مثل هذا الخال المخلص المحب. ليس هناك من يملي علي سلوكي في الحياة. لا احد.»

وربما كانت ستتابع كلامها عما تظنه في خطته القاسية

لتدمير عملها وتخويفها لجعلها تهرب من المنطقة، ولكن نيكولاس استدار واخذ ينظر اليهما، وكان واضحاً انه كان ينتظار جايمس ليأتي معه.

عندما صعدت السلم، لم تستطع إلا ان تجلس لترتاح قليلاً بعد ان اخذت ساقاها في الإرتجاف.

كل هذا يجب ان يتوقف، ان تجد ما يطمئنها إلى ان نيكولاس لم يخبر جايمس بالحقيقة فقط، وإنما ان تتأكد من ان هذا اقتنع بها.

لم يكن ثمة فائدة من قولها أيّ شيء، فمن الواضح ان جايمس لن يصدقها.

ولكن ليس بإمكانها متابعة ذلك مدة اطول. فقد اصبحت اعصابها في غاية الإرهاق والتوتر.

www.liilas.com

الفصل السادس

رغم مخاوفها من أن يمتنع الزبائن من الدخول إلى المتجر بعد تحطيم واجهته، اكتشفت أن ذلك قد زاد من توافد الزبائن، نتيجة الفضول لمعرفة ما حدث من جراء الاقتحام.

وبعد أن تم اصلاح الواجهة فيما بعد، أصبح بإمكانها أن تفضي إلى آن، والتي كانت اتصلت بها هاتفياً، قائلة بأن الأيام التي مضت زادت من حجم المبيعات بحيث اضطرت إلى الاتصال بمن يزودها بالبضاعة وذلك لارسال المزيد.

قالت آن: «وهذه هي البداية فقط. انتظري وسترين. لقد سئم الناس الطريقة المعقدة للمخازن الكبرى حيث لا يجدون عادة ما يريدونه بالضبط، ودب فيهم الحنين إلى ما ألفوه في الماضي من طريقة الحياة الطبيعية. بالمناسبة، ألم يعد رجال الشرطة إليك ليخبروك إن كانوا وجدوا من اقتحم المتجر وكسر الواجهة؟»

قالت تانيا: «كلا، ولا أظنهم سيجدونهم.»

«حسناً، لا أظن ذلك سيحدث مرة أخرى. خصوصاً بعد أن أدرك الفاعلون أن لديك جهاز إنذار.»

لم تقل تانيا شيئاً. لم تكن واثقة من أن وجود أي جهاز انذار، سيمنع الشخص الذي تظنه مسؤولاً. ولا أن الغرض من ذلك كان السرقة. على الأقل ليس بالمعنى المادي. كسرقة

سكينة النفس منها، وشعورها بالأمن، وربما احترامها لنفسها، نعم... إن بإمكانها أن تصدق أن جايمس وارن يمكن أن يكون مذنباً بالنسبة لهذه الأمور.

ارتجفت قليلاً وهي تضع سماعة الهاتف. قريباً، سيكون عليها وعلى آن أن تحضرا لوسي من المدرسة. كان يبدو لها من الظلم أن تعاني من هذا التوجس والخوف، لا لذنب جنته، خصوصاً بعد أن استقرت لوسي في حياتها الجديدة.

كانت لوسي مليئة بالثرثرة السعيدة عن مدرستها الجديدة. ولم تكن تانيا ترغب في دفع ابنتها إلى النجاح المدرسي، ولكن لم يكن ثمة شك في أن ثقافة جيدة، ومؤهلات حسنة هما ضروريان هذه الأيام إذا أراد الشخص وظيفة حسنة، فمن تجاربها الخاصة كانت تعلم مبلغ أهمية تمكن المرأة من اعالة نفسها دون الاضطرار إلى الاعتماد على زوج أو قريب.

وإذا ما استمر عملها على ما هو الآن من الازدهار فستفكر جدياً في اتخاذ من يعاونها، لجزء من النهار، بحيث تسلمه مسؤولية المتجر في المناسبات خلال الأسبوع.

كانت على وشك الانتهاء من بيع زوج من الأحذية عندما رن جرس الباب مرة أخرى.

رفعت بصرها بابتسامة سرعان ما تلاشت وهي ترى كلاريسا فوربس تدخل المتجر. وبنظرة سريعة من تانيا إلى الخارج، جعلها تدرك، أن الشقيق المهدد لم يكن معها.

www.liilas.com

قالت تانيا مرحبة: «كلاريسا.» فقد كانت قررت جادة ألا تمنحها سبباً يؤكد اعتقادها الأحمق بأن لتانيا علاقة مع زوجها.

على كل حال، شحب وجه كلاريسا غضباً وأجابتها بحقد: «آه، نعم. استمري في الابتسام. ولكن ابتسامتك هذه لن تدوم طويلاً. إذا كنت تظنين انني سأقف جانباً أتفرج عليك وأنت تهربين مع زوجي، سرعان ما ستكتشفين أنك مخطئة. إن نيكولاس زوجي ولا أنوي التخلي عنه لك أو لأي أحد آخر.»

حدقت تانيا إليها وإلى ملامحها العدوانية. وشعرت بالتوتر يتملكها وهي تقول: «إهدأي يا كلاريسا، أرجوك. إنك مخطئة في كل هذا. ليس بيني وبين نيكولاس علاقة مطلقاً.»

«لا تكذبي علي، فهذا ما يحاول نيكولاس أن يقوله، ولكنني أعلم الحقيقة. قد تدعيان أن هذا الأمر قد انتهى بينكما، ولكنني أعلم أن هذا غير صحيح. متى ابتدأ ذلك؟ عند أول مجيئك إلى هنا، أم قبل ذلك؟ هل خططتما لكل شيء؟ وهو أن تنتقلي إلى هنا؟ حسناً، إذا أنت ظننت أنني سأقف جانبا وأتركك تهربين مع زوجي فسرعان ما تكتشفين خطأك.»

وإذ رأت تانيا تصاعد علامات الهستيريا، حاولت تهدئتها. خائفة من مغبة ذلك عليها هي كما على كلاريسا. فقد كانت الأخيرة تبدو غاية في توتر الأعصاب. وتملك تانيا غضب هائل من نيكولاس وجايمس. من المؤكد أن واحداً منهما لا بد أن لديه العقل ليرى أن كلاريسا ليست في كامل إدراكها.

«كلاريسا، أرجوك. كل ما تقولينه خطأ. تحدثي إلى نيكولاس. دعيه يوضح لك الأمر. أقسم لك بأن ليس بيني وبينه علاقة ولن تكون. اسمعي، لماذا لا أتصل بنيكولاس هاتفياً الآن و...»

«كلا. لا أريده هنا، ولكنك أنت تريدينه أليس كذلك؟ تريدينه أن يطردني من هنا لتبقي وحدك معه. حسناً، إنني لن أدعك تدمرين زواجي. وإذا لم تتخلي عنه، ساجعلك تأسفين حتى على أنك ولدت.» قالت ذلك بلهجة متفجعة قبل أن تستدير على عقبيها وتندفع خارجة كالعاصفة.

بعد ذهابها، أخذت تانيا تحدق إلى الهاتف، متسائلة عما إذا كان عليها أن تتصل بنيكولاس وتقص عليه ما حدث. ولكن ألا يثبت هذا ما تعتقده كلاريسا من أن بينهما علاقة؟

جعلها شعورها الداخلي بالمسؤولية تتساءل عما إذا كانت هناك وسيلة يمكنها بها تقديم العون إلى المرأة والتي من الواضح أنها بحاجة إلى نوع من المساعدة. فقد كان غضب تانيا واستياؤها قد خفا ليحل مكانهما الاهتمام البالغ.

فيما بعد، سألتها آن وهما تعودان بالفتاتين من المدرسة: «هل ثمة شيء يدور في ذهنك؟»

أخبرتها تانيا عما حدث.

قالت آن: «آه، وفي رأيك أنها تعاني نوعاً من الاكتئاب أو ما أشبه؟»

«حسناً، هذا ممكن، وقد يكون شيئاً أعمق من ذلك، شيئاً

www.liilas.com

قد يكون متصلاً بموت والدتها ووالد جايمس. إنها غاية في توتر المشاعر. ويبدو من بعض النواحي، أنها تريد أن تعتقد أن ثمة علاقة بيني وبين نيكولاس.»

«آه، ربما هي تدرك أنها ثائرة المشاعر ما يعطيها اصرارها على أن هناك علاقة بينك وبين زوجها، يعطيها مبرراً لسلوكها. ويدهشني أن جايمس لم يدرك ذلك. ولكنه أمضى معظم هذه السنة في الاسفار حيث كان يمضي في أميركا، حيث ثمة فروع لشركاته الالكترونية، كان يمضي شهوراً كل مرة وربما الآن سيدرك حالتها أكثر من السابق بعد أن استقر هنا تقريباً.»

فقالت تانيا: «أشك في ذلك. فلأنها شقيقته يجب أن يضع اللوم عليّ.»

«هذا التصرف ليس من طبيعته، في الحقيقة.»

ابتسمت آن وهي تغيظها متابعة: «ربما هو معجب بك سراً ويشعر بالغيرة من نيكولاس وما قد تكون بينكما من علاقة.»

ضحكت تانيا برغمها، ولكنها في أعماقها، كانت تعي احساساً غير عادي أثارته آن بمزاحها هذا، وبعد أن افترقت عن آن، تأوهت تحدث نفسها، آه، كلا... لا يمكن ولا أريد لهذا أن يحدث...

لماذا، وبعد كل تلك السنوات التي أمضتها غير مبالية بالناس، ترى نفسها الآن وقد تملكتها مشاعر خطرة نحو رجل أبعد الناس احتمالاً على التجاوب مع تلك المشاعر؟ هل من الممكن أن سبب ذلك هو أنها كانت تعلم أنه من غير المعقول أن يشاركها رغبتها الدفينة هذه، ما يجعلها ناجية

منه؟ وأنها ستبقى آمنة إذ ترغب فيه، تماماً كشعور المراهقين في اندفاعهم بحب نجوم الأفلام؟

• • •

غداً هو السبت الثاني لها في متجرها. وما كانت تتوقع أن يلاقي عملها الازدهار الذي لاقاه الاسبوع الماضي، ومع هذا فقد استيقظت في الصباح التالي وقد تملكها شعور مزيج من القلق والبهجة.

كانت قد رتبت أمرها بحيث تأتي بيغي وهي ابنة شقيقة آن، لتجلس بجانب لوسي، في وقت الغداء، وكانت آن قد عرضت عليها باصرار أن تبقى لوسي معهم منذ الصباح حتى العصر، قائلة ببشاشة عندما احتجت تانيا قائلة بأنها تثقل على شهامتهم أكثر من اللازم: «هذا هراء، وقد يأتي وقت تقومين أنت به نحوي بنفس الشيء.»

«حسناً، أرجو ذلك. ولكنني أرجوك أن ترسلي لوسي إلى البيت في وقت الغداء. وكفى ما تتناوله معكم من طعام مجاني...»

فقالت آن: «سأفعل. وفي الساعة الثانية عشرة بالضبط ستكون في طريقها إلى البيت.»

«سآتي أنا لملاقاتها. إنني أعرف أنها على بعد أمتار قليلة منكم، ولكن، مع هذا...»

في الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائق، فيما تانيا على وشك ارتداء سترتها وتسليم الأمر إلى بيغي، إذا بزبونة تدخل المتجر ومعها توأمان وولدان آخران، وجميعهم فتيان.

عندما طلبت المرأة أحذية لهم جميعاً، شعرت تانيا أن من

www.faiss.com

الظلم أن تتوقع من بيغي تلبية مطالبهم، فخلعت سترتها وقالت باسمة انها ستاعدها.

كانت الساعة الواحدة إلا عشر دقائق عندما انتهت من العمل وقد بدا الرضى على الأولاد بأحذيتهم.

كانت الوالدة تقول لتانيا: «ما أجمل أن يجد المرء متجراً كهذا، فشراء أي شيء لهم كان يشكل عندي كابوساً وزوجي يرفض المجيء معي كلياً، الأولاد ينتهون عادة وهم يتخاصمون.»

ابتسمت تانيا لها متعاطفة وهي تسير معها نحو الباب وعندما ذهبوا، استدارت إلى بيغي قائلة: «ستهدأ الأمور الآن قليلاً حيث أن الجميع يذهبون إلى بيوتهم للغداء سأصعد فقد إلى الشقة لأرى ما تفعله لوسي، ولا بد أنها تكاد تنهار جوعاً، المسكينة.»

لكنها عندما فتحت باب الشقة، كان المكان خالياً والسكون مخيماً.

نادت لوسي، وفتحت باب غرفتها ولكن دون فائدة. أترى آن نسيت ارسال لوسي عند الثانية عشرة كما وعدت؟ ربما إذا كانت الفتاتان مشتركتين في لعبة ما... ولكن آل فيلدينغ، عادة يجلسون للغداء عند الساعة الثانية عشرة والنصف، والساعة الآن الواحدة تقريباً...

تملكتها هواجس الوالدة، سرعان ما حملت سترتها وأسرعت تهبط السلم إلى الخارج لتجتاز الممر الضيق الذي يفصل بيتها عن بيوت الجيرة ثم إلى الشارع، وهي تنظر حولها بغاية القلق، باحثة عن ابنتها.

لكن لم يكن هناك أي أثر للوسي.

تملكها الفزع الآن، فأسرعت نحو منزل آل فيلدينغ.

كان توم فيلدينغ يحتسي كوباً من الشاي وضعه جانباً بعد أن رأى القلق البالغ في وجهها، ويسألها بسرعة: «تانيا، ماذا حدث؟ أهو اقتحام آخر؟»

«كلا، كلا... بل هي لوسي... فهي لم تأت إلى البيت بعد، وكنت أتساءل...»

فوقف توم وقد بدا الاهتمام على وجهه: «ولكنها تركت بيتنا الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً... هذا...»

قاطعته وهي ترتجف: «أي منذ أكثر من ساعة. أتظن... أنها لم تصل بعد إلى البيت...»

«حسناً، أظن كان عليها أن تكون عندك الآن. اسمعي، اصعدي وتكلمي مع آن.»

صعدت تانيا وقد برح بها القلق وطرقت باب غرفة الجلوس.

فتحت آن الباب، تلاشت ابتسامتها وبدا عليها الاهتمام وهي ترى تانيا تسألها عن لوسي.

«كلا، إنها ليست هنا، فقد أرسلتها إلى بيتها الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائق حسب الاتفاق.»

«آه، كنت أريد ملاقاتها والعودة معها إلى البيت، ولكن امرأة جاءت إلى المتجر مع أربعة أولاد، ولم أستطع ترك المسكينة بيغي وحدها معهم. ظننت أن لا بد لوسي وصلت وصعدت إلى غرفتها. ولكن لا أثر لها في الشقة.»

أخذت ترتجف هلعاً.

أمسكت آن بها وهي تقول بحزم: «كلا، لا تخافي. هل أنت واثقة من أنها ليست في البيت؟»

www.kitabs.com

«نعم، نعم... بحثت في كل مكان.»

«حسناً، ربما تلاقت مع أحد... زميلة في المدرسة.»

فهزت تانيا رأسها قائلة: «كلا، فهي لا تذهب مع أي إنسان. إنها تعرف هذا. فقد علمتها ذلك. إنها ترعرعت في مدينة كبيرة، يا آن. فهي تعرف كل شيء عن مخاطر التحدث مع الغرباء... و...»

تهدج صوتها، فاحتضنتها آن بشدة: «سنعثر عليها، فلا تقلقي. دعيني أتصل بالشرطة.»

اتسعت عيناها خوفاً على ابنتها: «الشرطة؟»

قالت آن بلطف: «هذا أفضل ما يمكننا عمله. وربما تكون في أحسن حال.»

أخذت تانيا ترتجف بعنف، وهي تحاول استيعاب ما كانت آن تقول.

كان الخوف من اختفاء ابنتها هو كابوس كل والدة. فكثيراً ما كان يحدث ذلك... بصورة مفجعة... واعتصر الألم والرعب قلبها.

همست وهي تكاد تختنق: «كلا، ليس لوسي. آه، الرحمة بي، يجب ان لا يحدث شيئاً لها.»

«هيا، ان انهيارك لن يفيدها. اجلسي لحظة، ريثما أتصل أنا بالشرطة.»

• • •

بعد ذلك بنصف ساعة، وبينما كان فكرها يجول في دوامة الرعب والعذاب والشعور بالذنب، كانت تانيا تحاول أن تجيب على أسئلة رجلي الشرطة والمباحث اللذين جاءا إلى منزل آل فيلدينغ لمواجهة تانيا.

عندما سألاها عن نوع ملابس لوسي، قاومت نفسها من الانهيار الكلي وهي تتصور ابنتها وهي تودعها هذا الصباح.

وقالا لها: «لا تقلقي. ربما ذهبت إلى مكان ما مع صديقة لها ونسيتا مرور الوقت.»

لكن تانيا رفضت أي تعزية. فلوسي لا تفعل ذلك. ثم إن أقرب صديقة إليها هي سوزان. سوزان التي أخبرت رجلي الشرطة بأن لوسي كانت أخبرتها بأنها ذاهبة إلى بيتها مباشرة.

قال لها رجل الشرطة: «هل هنالك شخص تعرفه قد يكون أخذها معه؟ أحد الأقارب مثلاً؟»

فهزت تانيا رأسها: «كلا، تعرف أحداً.»

«حسناً، حاولي أن لا تستسلمي للقلق. فقد أرسلنا من يبحث عنها. وإذا كانت جديدة في هذه المدينة، فلا غرابة في أن تضيع طريقها. هل تعرف أي مكان هنا، أي مكان قد تحب الذهاب إليه؟»

فقالت لهم شاعرة بالخوف: «كنا ذهبنا مرة للتمشي على ضفة النهر... ورأينا شخصاً ومعه كلب... ولوسي تحب الكلاب، فوعدتها بأنني في الربيع...»

أخذت ترتجف غير قادرة على تصور أن الربيع، إذا جاء، قد تكون قد أصبحت وحدها... وأن لوسي، الطفلة الغالية الضعيفة...

«عليّ أن ألقي عليك سؤالاً، يا تانيا. إنه ليس انتقاداً فكلنا نفقد أعصابنا أحياناً، ولكن هل كنتما، أنت ولوسي قد تشاجرتما؟ أتراها قد كرهت العودة إلى البيت؟»

www.hilas.com

هزت تانيا رأسها نفياً وأجابت: «كلا، فليس لدينا هذا النوع من العلاقة، فهي فتاة هادئة مطيعة.»

قالت آن بهدوء: «إنني أؤكد ذلك. عندما تركت بيتنا كانت تبدو سعيدة تماماً. وقد أخبرتنا أنك وعدتها بغداء من السلمون الطازج.»

فقالت تانيا: «نعم، هذا صحيح. فهي تحبه. إنه غالي الثمن ولكنه أفضل لها من السمك الصغير... وأنا أريدها أن تنمو بصحة جيدة...» ابتدأ صوتها يرتجف وغطت وجهها بيديها بعد أن أخذت دموعها تنهمر.

فقال الشرطي: «كل شيء سيكون على ما يرام.» ولكن تانيا لم تقتنع. وعندما اقترح الشرطي عليها أن تعود إلى بيتها إذ قد تعود لوسي في غيابها. نهضت واقفة وقالت لها آن: «لا تهتمي بالنسبة إلى المتجر. سأذهب إلى هناك واستلم مسؤوليته من بيغي.»

أمضت بقية النهار بالتوتر والقلق. وبقيت معها شرطية طوال الوقت. لكن آمالها في أن تكون لوسي قد أضاعت طريقها أو ألهاها أمر ما، آمالها تلك تلاشت لتصبح تأكداً أخذ يعذبها، بأن امرأ مريعاً حدث لابنتها الغالية.

ثم، وعند الساعة الخامسة قطبت جبينها وطلبت منها القدوم بسرعة: «تعالي حالاً، يا تانيا.»

قفز قلبها وأسرعت إليها. نظرت إلى الشارع وإذا بلوسي تنزل من سيارة جايمس وارن الجاكوار القاتمة الزرقة.

سألتها الشرطية: «هل هذه ابنتك؟»

كان مستحيلاً عليها أن تتكلم. أومأت برأسها فقط بينما دموع الفرح تغسل وجهها.

من خلال دموعها رأت لوسي تضع يدها بيد جايمس بثقة، وهما يتجهان إلى الباب، ثم وقف جايمس ورفع بصره إليها.

جعل التعبير الذي بدا على ملامحه وجهها يكفهر مرة أخرى. لم تر في وجه شخص من قبل مثل هذا المزيج من الندم، والعذاب، والشعور بالذنب. كانت نظرة مماثلة تماماً لمشاعرها ما جعلها تحبس أنفاسها غير قادة على الحركة سوى الوقوف بينما لوسي تصعد السلم بسرعة ثم تندفع إلى الغرفة قائلة ببهجة عارمة: «امي... إنك لن تخمني أبداً ماذا حدث. لقد وعدني جايمس بأنه سيشتري لي كلباً في نكرة مولدي، إذا أنت قبلت... وهو سيعلمني كيف أدربه بشكل صحيح فلا يصبح مثل رابير.»

حينما وقفت تلتقط أنفاسها، سارت الشرطية نحوهما ببطء ثم قالت بهدوء: «مرحباً يا لوسي. هل أمضيت وقتاً طيباً؟»

ابتسمت لوسي لها، عند ذلك قالت الشرطية لتانيا بهدوء: «سأضع تقريراً بما حدث وأدعهم يعلمون أنها عادت سالمة.» ثم استدارت إلى جايمس قائلة بهدوء: «أظن عليّ أن أطلب منك الانتظار هنا عدة دقائق، يا سيدي. فقد كانت لوسي مفقودة طوال بعد الظهر دون معرفة والدتها.»

قال جايمس بجمود: «يمكنني أن أوضح كل شيء.»

بدا عليه التعب فجأة، والانهزام والانهاك ما جعل تانيا تكتشف أنها تشعر بالعطف عليه.

في البداية، وهي ترى لوسي تنزل من السيارة، تملكتها

www.liilas.com

الصدمة وهي تدرك أنها عندما أخبرت الشرطة أنها لا تعلم إن كان هناك من يمكن أن يختطف ابنتها، كانت مخطئة في ذلك. ذلك أن جايمس عندما هددها، لم تتصور ابداً أنه قد ينفذ تهديده ذاك بخطف لوسي.

لكنها عندما رأت تلك النظرة في عينيه، علمت أنه مهما كان حدث للوسي، ومهما يكن الشخص المسؤول عن اختفائها، فهو ليس هذا الرجل: «أظن من الأفضل أن أذهب معك إلى المخفر.»

ثم التفت إلى تانيا وأضاف يقول بهدوء: «هل من الممكن أن أترك سيارتي أمام بابك؟ فأنا بحاجة إلى الحديث معك على كل حال. ويمكنني المجيء فيما بعد إذا سمحت لي بذلك.»

عندما أومأت برأسها، قال: «شكراً.»

قال نلك بجمود كما قال كل كلمة أخرى، ولكن تانيا كانت تشعر بأن وراء مظهره الهادىء يكمن عذاب مر.

«إذا شئت أن تأتي فمن هنا، يا سيدي.»

عندما أصبحت تانيا وحدها مع لوسي، وبعد أن اطمأنت إلى سلامتها، سألتها بلهجة حاولت أن تجعلها طبيعية ما أمكن: «كيف قابلت جايمس، يا عزيزتي؟ كنت قلقة بشأنك عندما لم تأت إلى البيت لتناول الغداء.»

قالت لوسي بجد: «لقد قلت هذا للسيدة. وقلت لها إنك ستقلقين علي، لكنها قالت أن لا بأس في ذلك وأن علي أن أذهب معها إلى بيتها. قالت إنك مشغولة مع العم نيكولاس.» بدت البراءة على لوسي وهي تقول ذلك.

بدا لتانيا وكأن قبضة حديدية اعتصرت قلبها. فقالت

للوسي: «هذه... هذه السيدة. هل هي... هل هي زوجة نيكولاس؟»

أومأت لوسي: «نعم. إن لديهم بيتاً كبيراً حقاً، يا والدتي، وكان الكلب رابير هناك. لقد تركتني ألعب معه ثم أعطتني بعض البسكويت بالشكولاته. لقد ألقت علي كثيراً من الأسئلة عنك وعن العم نيكولاس. ثم أخذت تبكي. وقد أخافتني ذلك قليلاً. لقد تضايقت يا والدتي حين أخذت تبكي.»

«هل قالت... هل قالت لك شيئاً آخر؟»

سألتها تانيا ذلك. ولم تكن لديها رغبة في إخافتها، أو جعلها تدرك مقدار الخطر الذي كانت فيه. لقد أصبح من الواضح الآن أن تشوش كلاريسا ذهنياً كان أكثر بكثير مما كانت تانيا تظن.

أجابت لوسي ببراءة: «كلا، في الحقيقة. ألم أكن أريد في الواقع، أن أذهب معها. ولكنها أمسكت بذراعي فأوجعتني، ثم دفعتني إلى داخل سيارتها فخفت كثيراً من الخروج. ولكنني سررت جداً باللعب مع رابير. ثم دخل جايمس. فأخذت تزيد من بكائها. قال إنه سيعيدني إلى البيت. تكلما كثيراً جداً ثم تمسكت بذراعه وتوسلت إليه أن لا يتركها. لقد تضايقت أنا عند ذلك. وأظن جايمس هو أيضاً شعر بذلك.»

قالت تانيا ببطء وهي ترتجف قليلاً: «نعم، أظن هذا.»

تصاعد رنين الهاتف، فرفعت السماعة. وكانت آن على الخط.

«هل من خبر؟»

«نعم. عادت لوسي سالمة. أعادها جايمس وارن.»

«جايمس وارن... ولكن...؟»

www.liilas.com

قاطعتها تانيا: «لا يمكن الكلام بهذا الشأن الآن. ولكن يبدو أن كلاريسا أجبرت لوسي بالذهاب معها.»

سمعت آن تشهق ذاهلة، ثم تقول: «لا بد أن تلك المرأة مخبولة. ما الذي تظن نفسها تفعله؟»

«لست واثقة، وأظنها هي أيضاً كذلك. لقد ذهب جايمس إلى المخفر. وقد قال إنه سيأتي إلى هنا بعد ذلك ويشرح لي كل شيء. ولكن المهم هو أن لوسي سالمة.»

قالت آن: «نعم. اسمعي. إذا أردتني أن آتي إليكما وأبيت الليلة...»

«كلا، سنكون بخير.»

في الواقع، كانت تتمنى مجيء آن، ولكنها لم تكن تحب الاعتماد كثيراً على الغير. المهم أن لوسي هي بخير الآن وأنه لم يتحقق أي من تلك الأمور المفجعة التي كانت تخشاها. يبدو أن كلاريسا لم تهددها بشيء. وبدا من كلام لوسي أن كلاريسا لم تكن تريد سوى أن تعرف كم من الوقت يمضي تيكولاس معهما، هي ووالدتها.

كما أن اللوم لا يقع كله على كلاريسا... إنهم جميعاً يقع عليهم اللوم. جميعهم حقاً. إن تانيا لا تربطها اية علاقة بتيكولاس، ولكنها كانت من العناد والكبرياء بحيث لم تثبت ذلك لكلاريسا. هذا بالاضافة إلى أنها لاحظت أنها ليست متزنة، ولكنها لم تفعل شيئاً لتحذر المسؤول عنها. ولماذا؟ لأن ذلك المسؤول هو جايمس، وبسبب ذلك عرضت ابنتها للخطر.

من حسن الحظ أن لوسي اجتازت هذه المحنة بسلام، ولكن كان يمكن أن يختلف الأمر لو أن كلاريسا رأت أن

تعاقب لوسي لما تصورته من غلطة والدتها... لو أنها قررت... وأخذت تانيا ترتجف.

لكن عليها أن لا تظهر مشاعرها هذه أمام لوسي.

يجب أن تبدو هادئة منضبطة الأعصاب، ولو ظاهراً على الأقل. أما داخلاً، حسناً... فالأمر هنا يختلف تماماً... داخلاً...

كل ما بإمكانها أن تفعله هو أن تشكر جايمس لاعادته ابنتها إليها سالمة.

www.liilas.com

الفصل السابع

كانت الساعة العاشرة حين عاد جايمس وكانت لوسي نائمة في فراشها منذ ساعة.

عندما نزلت تانيا لتفتح له الباب، رأت على ضوء مصباح الشارع مبلغ الارهاق الذي يكسو ملامحه.

«آسف لتأخري بهذا الشكل، ولكن كان عليّ أن انتظر نيكولاس الذي كان يعيد الطفلين إلى المدرسة وذلك ليتمكن من وضع توقيعه على طلب إدخال كلاريسا إلى مستشفى خاص، حيث نأمل...»

سكت، فقالت تانيا: «إنك تبدو مرهقاً سأصنع عشاء الآن فهل لك...»

«كلا، فقط فنجان قهوة.»

«طبعاً، تفضل بالصعود إلى البيت. ويمكننا أن نتحدث هناك. لوسي نائمة، وهي دون شك، تحلم بالكلب الذي وعدتها به.»

اعتذر قائلاً: «أنا آسف، كان عليّ أن أسألك أولاً... ولكن بعد أن شاهدت النوبة الهستيرية التي تملكت كلاريسا، كان هذا هو الشيء الوحيد الذي خطر ببالي لكي ألهيها عن ذلك. يا للطفلة المسكينة، لا بد أنها ارتعبت كثيراً، ولكنها لم تظهر ذلك.»

«لا أظنها لاحظت، في الحقيقة، كيف... كان مبلغ عدم اتزان كلاريسا. فالأطفال لا يلاحظون، كما تعلم. فهم

يتقبلون تصرفات الكبار بصفتها مختلفة عن تصرفاتهم، كل ما قالته لي ان كلاريسا بكت كثيراً حين وصلت أنت.»

«أحقاً؟ حسناً، أظنها إحدى الطرق لوصف ذلك.» وبدا في عينيه من القنوط ما جعل تانيا تميل نحوه دون وعي منها وقد بدا في عينيها العطف والتفهم.

شعرت به يتوتر لنظراتها تلك، فتضرج وجهها حرجاً، وقال: «إنني أستمر في تقليب الأمور في ذهني... أسير في المنزل، فأرى ابنتك هناك... وأفكر في أنك في الواقع... وإذا بكلاريسا تدخل وتبدأ في الحديث بعنف عن كيف أنها ستجعلك تندمين... وكيف ستجعلك تتخلين عن نيكولاس. وحتى في ذلك الحين لم أدرك... إلى أن أخذت تقول إن عليّ أن أساعدها في إخفاء لوسي في مكان ما حتى لا يعثر عليها أحد، وأنها ستجعلك تندمين وتتركين نيكولاس، حينئذ ألوم نفسي كلياً، فقد كان عليّ أن أدرك ذلك، فقد كانت يوماً متوترة للغاية. لقد كانت أصيبت بانهيار عصبي يوم القتل والدينا. ولكن ذلك كان منذ خمسة عشر عاماً تقريباً، لم أفكر... أظن أنني لم أشأ التفكير.» هز رأسه ببطء متابعاً: «لحسن الحظ وصل نيكولاس إلى البيت في الوقت الذي كنت أحاول فيه أن أقنعها بأن عليّ أن أعيد لوسي إليك. لقد أخبرني كل شيء، اعترف بأنه تعمّد أن يدّعي بأن بينكما علاقة، ويبدو أن سلوك كلاريسا كان يتفاقم يوماً بعد يوم خارج السيطرة ولكنني كنت أظن ذلك نتيجة عدم رضاها عن زواجهما أو الاستياء إذا شئت. ولهذا حاولت أن أعوّض لها بعاطفة هي مزيج من المحبة والكبرياء.

كان واضحاً أن ذلك يمكن أن يستمر. لذا استدعينا

www.kutas.com

الطبيب قبل أن أخرج، وكان يعرف عيادات خاصة في لندن حيث تعالج حالات مثل حالة كلاريسا، وهذا سيستغرق بعض الوقت، لكن ثمة أمل كبير في أن يعود إليها توازنها العقلي.»

«لا بد أن هذه كانت صدمة بالنسبة إليك.»

لم تعرف تانيا ما تقول غير ذلك. كان واضحاً أن تأثير ما حدث كان عميقاً في نفسه وإلا لما كشف لها عما في نفسه بهذه الطريقة، بدا الأمر وكأن هذه المحنة قد وحّدت بينهما، وذلك بما احتوته من صدمة وعذاب.

أجابها بقوله: «هذا صحيح، ولكن عندما أفكر في ما عانيته أنت خلال هذا النهار...»

قالت: «من الغريب أنه لم يخطر ببالي أن كلاريسا قد تكون المسؤولة عن اختفاء لوسي، رغم ان الأحداث...»

«يبدو أنه كان قراراً مفاجئاً. كانت تقود سيارتها في الشارع، فرأت لوسي تسير وحدها...»

فقالت: «وكان هذا ذنبي أنا. كنت أنوي الذهاب لملاقاتها، لولا دخول زبونة للمحل.» غصت بريقها وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

فقال: «لو كان حدث للوسي أي شيء، لما غفرت لنفسي أبداً. والأسوأ من كل شيء هو أنني ساعدت كلاريسا وشجعتها في هوسها وتصوّرها أن بينك وبين زوجها علاقة.»

«لم يكن ذلك ذنبك. كان على نيكولاس أن يخبرك بالحقيقة. لقد أخبرته بأن يقوم بذلك، كانت فكرته تلك سخيفة وقد غضبت منه لتوريطي في ذلك.»

«هذا ذنبنا نحن الاثنين. قبل كل شيء أريد أن أعتذر إليك شخصياً، كان عليّ أن استعمل العقل والمنطق قبل أن أنساق مع مشاعري بشكل أعمى.»

أجابته: «لا يقع اللوم كله عليك. فكلاريسا شقيقتك ومن لطبيعي أن تحميها، ولهذا كان تجاوب مشاعرك نحو تلقها...»

فقاطعها قائلاً: «لم يكن تجاوب مشاعري نحو كلاريسا وحده هو الذي جعلني أتصرف بذلك الشكل المتوتر.»

نظرت إليه مجفلة، بينما تابع هو يقول: «في أول مرة تعارفنا فيها، كنت جئت إلى هنا لنتناقش منطقياً، لأطلب منك بهدوء أن تفكري بما تقومين به... أن أتوسّل إليك، إذا شئت، أن تنهي علاقتك بنيكولاس قبل أن يفوت الأوان.»

سألته بجفاء: «هل تعتبر حقاً أن محاولتك رشوتي لكي أنهي العلاقة شيئاً منطقياً؟»

«كلا، أبداً ولم يكن هذا ما كنت أنوي فعله، مطلقاً. ولكن عندما ألقيت أول نظرة عليك، صدقيني أن كل ما كنت أريد قوله لك، قد تبدّد من ذهني كلياً.»

فقالت: «لقد تملكني فعلاً شعور بأنك شعرت بالكراهية نحوي بشكل مفاجيء.»

«الكراهية؟»

كان في صوته نبرة الاستغراب: «هل هذا ما فكرت فيه حقاً؟ كلا، لم تكن الكراهية هي التي جعلتني عدوانياً نحوك، بهذا الشكل وإنما كان الانجذاب... الانجذاب والغيرة الصرفة. ألقيت عليك نظرة واحدة جعلتني أشعر نحوك بانجذاب بلغ من عنفه أن مجرد التفكير في أن لك

www.liilas.com

علاقة مع رجل آخر... ولا أقصد صهري بالذات، ذلك التفكير جعلني أقرب إلى الجنون. والأمر المخجل هو أن باعث انسياقي ذاك لم يكن فقط الرغبة في حماية زواج كلاريسا، وإنما أيضاً رغبتي في فصلك عن نيكولاس لتكوني حرة...» سكت فجأة وهو يهز رأسه متعباً: «ما كان لي أن أرهقك بكل هذا، خصوصاً في هذا الوقت، ولكن الرجال الذين هم بسني يصبحون شديدي الحساسية والضعف حين يقعون في الحب، فنحن لا نتوقعه، كما ترين، إننا نظن أننا نعرف كل شيء عن الطبيعة البشرية. خصوصاً بما يتعلق بتصرفاتنا الخاصة، إننا نظن أننا ناضجون تماماً، وأكثر عقلانية من أن ننساق مع مشاعرنا التي نظنها وقفاً على المراهقين فقط... هذا هو السبب في أنه يؤثر علينا أكثر من اللزوم، وفي أننا نتصرف... بهذا الغباء.»

جايمس، يحبها... لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، ولكن قبل أن تقول هذا، كان هو يقول برقة: «ما كان لك أن تدعيني هنا معك وحدنا، عليك أن تطرديني قبل أن يصبح هذا الوضع خارج اليد فأقوم بما نندم عليه معاً.»

قد يكون الحق معه، ولكن كان من المستحيل عليها أن تفكر بشكل صحيح، وذلك في الوقت الذي كان فيه ذهنها ما يزال يحاول أن يقبل ما كان قاله لها.

«اطلبي مني الذهاب، يا تانيا وإلا...»

تطلب منه الذهاب؟ ولكن ذلك هو آخر شيء تريده. فهي تريد أن تبقى معه، بحاجة إلى أن تكون معه. عليها أن تكون معه.

كان شيء في أعماقها يدفعها إلى أن تأخذ ما يقدمه لها،

وأكثر كثيراً من ذلك كانت تريد أن ترفع عن كاهله عبء الشعور بالذنب والألم، أن تستجيب إلى الحقيقة الواحدة ذات الأهمية... وهي أن هناك رجل تحبه، وغير ذلك لا يهمها شيء.

«إذا كنت تريدينني أن أذهب...»

«كلا، كلا... لا أريد.»

نظر في عينيها بإمعان، ثم سألها برقة: «إذن، فمشاعرك هي نفس مشاعري؟»

قالت وهي ترتجف: «أظن ذلك.»

سألها: «بعد موت زوجك، كيف كانت علاقتك بالرجال؟»

ترددت جزءاً من الثانية، وهي تنظر إلى الأرض، ثم قالت بصدق: «منذ ذلك الحين لم يكن لديّ الوقت ولا الميل إلى التورط في علاقة عاطفية وخصوصاً مع رجل متزوج وله ولدان.»

مضت لحظة صمت جعلتها تفكر في ما إذا قالت شيئاً خطأ، فهو رجل ذكي.

أخيراً قال: «إذن فأنا طعنتك في شرفك، أليس كذلك؟»

سكت لحظة ثم عاد يقول: «لقد تركت منذ وقت طويل ثقتي بأنني سأعثر على المرأة التي بإمكاني أن أحبها، إلى أن عرفتك. إنك لا تتصورين مبلغ ما تأثر به احترامي لنفسي وأنا أدرك أنني أحببت امرأة تخالف كل مثالياتي التي أؤمن بها في المرأة التي أتزوجها، ولكن كان عليّ أن أكون أكثر ذكاء... هل تحبينني يا تانيا؟»

قالت بصوت خافت: «لا أدري. أنا أعرف أنني بحاجة إليك... أريدك إلى جانبي.»

فجأة تملكها شعور غريب بعدم الثقة، والضيق، وعدم إدراك بما عليها فعله.

«تانيا.»

رفعت بصرها إليه، كان يتمنى أن يبقى معها، ولكنه كان وعد صهره نيكولاس بأن يكون بانتظاره عندما يعود من المستشفى.

تنهد، شاعراً بالاستياء البالغ منهما معاً، صهره وكلاريسا نفسها في اعتمادها المتملك عليه.

إنها لن تقبل بسهولة وجود امرأة أخرى في حياته، خصوصاً امرأة أكثر أهمية لديه منها هي، وعلى الأخص هذه المرأة.

الفصل الثامن

استيقظت تانيا في الصباح وشعور ببهجة طاغية لم تشعر بمثلها في حياتها من قبل، يغمر كيانها.

جايمس... جايمس وارن جاء إلى هنا الليلة الماضية. ثم جلست في فراشها وهي تتنهد بعمق. لا حاجة بها إلى الانكار. فالليلة الماضية تبادلت مع جايمس عهود الحب المتبادل.

كان جايمس صريحاً واضحاً معها وهو يحدثها عن مشاعره وحبه لها، وهي أيضاً...

إنه يحبها... جايمس وارن يحبها... لقد قال لها هذا بنفسه. أخذت ترتجف واغرورقت عيناها فجأة بالدموع، آه ما الذي يحدث لها؟ فهي تعلم كيف كان انجذابها إليه منذ أول لقاء لها به. ولكنها في ذلك الوقت لم تكن تحلم بأنه يشعر نحوها بنفس الشيء.

«أمي، ألم يحن الوقت للاستيقاظ من النوم بعد؟ وهل يمكنني أن أذهب لرؤية سوزان؟ إنني أريد أن أخبرها عن الكلب الذي سيشتريه لي جايمس.»

مسحت تانيا دموعها بسرعة وهي تستجيب إلى العناق الصباحي لابنتها لها. سرها أن تجد أن ابنتها الغالية قد عادت إلى طبيعتها تماماً بعدما حدث لها بالأمس. ومن ناحيتها هي، من الحماقة أن تبالغ باظهار

www.liilas.com

المشاعر نحو لوسي لا لشيء إلا لأن الرعب كان ما يزال يتملكها وهي تفكر في أن ابنتها كان من السهل أن يصيبها الأذى جسدياً ونفسياً ومن الممكن أن يبقى هذا الأذى دائماً يرافقها بقية الحياة، توقعه بها كلاريسا فوربس نتيجة غيرتها. فلو لم يذهب جايمس لزيارة شقيقته في ذلك الحين... لو لم تكن هي توقفت لتخلم تلك الزبونة، وذهبت بدلاً من ذلك لملاقاة لوسي كما كانت مصممة... لو أن كلاريسا لم ترها تسير وحدها في الشارع... لو... لو... ولكن لم يكن ثمة فائدة من تعذيب نفسها وقد انزعجت ابنتها بالحديث عن كل ذلك. ويكفي أنها ستمضي حياتها تحمل ذكرى ما حدث لابنتها الحبيبة وما كان يمكن أن يحدث لها.

حسناً، إنها من الآن فصاعداً، ستحرص على سلامة لوسي...

عندما ابتعدت لوسي عنها، سمعتها تقول لها بفرح: «إنني لم أختر اسماً للكلب بعد يا أمي، وسأسأل جايمس عن رأيه. إنني أحبه، فهل تحبينه أنت؟»

«ماذا؟»

نظرت تانيا إلى وجه ابنتها السعيد المشرق. فعادت لوسي تكرر قولها:

«جايمس، يا أمي. أنا أحبه.»

«نعم، نعم. إنه بالغ الكياسة.» قالت ذلك بشكل آلي. لقد أنقذ جايمس حياة ابنتها. كان هناك يحميها من الأذى بينما هي نفسها لم تفعل ذلك. ساورها شعور من عرفان الجميل يمازجه نوع من الامتعاض... وقليل من

الغيرة... فقد رأت المودة الواضحة والثقة اللتين كانتا واضحتين على لوسي عندما أحضرها إلى البيت. رأت ذلك وشعرت، بشكل ما، أنها مستثناة من ذلك.

انتبهت من تصوراتها ويد لوسي تهز ذراعها قائلة لها بفروغ صبر: «متى ستنهضين من الفراش يا أمي؟ إنني جائعة ثم إنني أريد أن أذهب إلى سوزان لأخبرها عن الكلب.»

قالت تانيا:

«سأنهض الآن. ولكنني لا أظن أن الذهاب اليوم إلى منزل سيزان هي فكرة جيدة.»

قالت لوسي محتجة:

«ولكن، يا أمي...»

رن جرس الهاتف قبل أن تتكلم تانيا. وعندما رفعت السماعة أدركت أن قلبها كان يخفق بعنف.

كان صوتها وهي تتكلم حاداً عالياً. وسمعت صوت آن: «تانيا، هذا أنا. فقط فكرت في الاتصال بك لأرى كيف حالك.»

آن... خفق قلبها بشدة شاعرة بخيبة الأمل. ما أغباها وهي تفترض أنه جايمس.

«إننا بخير تماماً. سأخبرك بكل ما حدث ولكن ليس الآن. ما حدث أن كلاريسا فوربس رأت لوسي تسير في الشارع لوحدها فأخذتها معها. لقد قال إن كلاريسا مصابة بنوع من الانهيار العصبي.»

«انهيار عصبي فقط؟ لا بد أنها مخبولة تماماً إذ تقوم بعمل كهذا. كيف حال لوسي؟»

www.liilas.com

«مشرقة كالشمس. ولا يبدو أي أثر عليها لما حدث لها. لقد وعدها جايمس باحضار كلب، وقد صرف هذا اهتمامها عن كل شيء آخر.»

قالت آن: «سوزان تسألني على الدوام متى يمكن أن تراها.»

فقالت لها تانيا بسرعة: «ليس اليوم. أشعر وكأنني لا أستطيع أن أجعلها تغيب عن بصري حالياً.»

وافقتها آن: «حسناً، الحق معك في هذا، ولكنني لا أظنه حسناً بالنسبة إلى لوسي إذ يجب أن لا تظهري اهتماماً كبيراً بها وخصوصاً إذا كان ما حدث لها قد ترك تأثيراً عليها.»

عندما أخبرت آن أنها ترسل لوسي إلى المدرسة في الصباح كالعادة، أنهت المخابرة.

أترى جايمس سيتصل بها؟ وهل سيأتي لرؤيتها؟ أم تذهب هي إليه؟

بعد ذلك بساعة، كانت لوسي في غرفة الجلوس بجانب النافذة وقد استسلمت لمشيئة والدتها في أن تمضيا النهار معاً، عندما هتفت فجأة بابتهاج: «إنه جايمس يا والدتي، جايمس هنا.»

على الفور، نهضت تانيا من الكرسي مندفعة نحو النافذة، ولكنها توقفت فجأة قبل أن تصل إليها وقد توهج وجهها، وتوزعت عواطفها بين السرور والتوجس.

جايمس هنا. ماذا ستقول له؟ وماذا سيقول لها؟ ما أسخف أن يراها تندفع إلى النافذة لتنظر كفتاة مراهقة.

ولكن عندما سمعته يدق جرس الباب أخذ قلبها يخفق بسعادة وكأنها كانت في ذلك السن.

قالت لوسي وهي تندفع خارجة من الغرفة: «سأذهب لأفتح له الباب.»

عندما سمعت ثرثرة لوسي معه وهما يصعدان السلم، تمنت لو أنها كانت تلبس شيئاً أجمل من سروال الجينز هذا والقميص القطني المرسوم عليه ميكي ماوس والذي كانت لوسي اختارته لها.

تعمدت أن يكون ظهرها إلى الباب حين دخلا متظاهرة بأنها مستغرقة في قراءة مقال في صحيفة.

هتفت لوسي بابتهاج وهي تدخل الغرفة: «جايمس يريدنا أن نذهب إلى بيته لتناول الغداء معه هناك.»

تركت الصحيفة من يدها وقد قفزت كلمات الاستنكار من تصرف لوسي هذا، إلى شفتيها، ولكنها ما أن نظرت إلى جايمس، ورأت خطوط الارهاق والقلق والتوتر في وجهه، حتى تبددت مقاومتها ومخاوفها وذابت شكوكها في حرارة اللقاء.

قال لها: «كان عليّ أن أكون هنا قبل الآن، ولكن كان لدي أشياء ينبغي القيام بها. لقد وافقت الشرطة على عدم توقيف كلاريسا حالياً. وذلك في انتظار وصول تقرير الطبيب الاختصاصي عن حالتها العقلية. وقد ذهبنا، نيكولاس وانا معاً، لرؤيتها هذا الصباح. كما أن الطفلين عادا إلى مدرستهما الداخلية.»

كان يبدو عليه الانهاك والأسى ما جعلها تقف بجانبه وتضع يدها على ذراعه كي تخفف عنه.

www.liilas.com

فتابع كلامه قائلاً: «الاختصاصي يعتقد أنها ستشفى مع الوقت. لقد ظهر أنها كانت أصيبت بأزمة نفسية خفيفة عند ولادة كليف ولكنني كنت مسافراً في ذلك الحين. والطبيب يشعر بأن ذلك كان بداية ما حصل لها الآن.»

«لكن كليف يبلغ السابعة من العمر.»

«أعلم ذلك... ولكن من وجهة نظر الاختصاصي...» وهز كتفيه بعجز.

«لكن، كيف تشعر بنفسها؟»

ألقت عليه هذا السؤال تعاطفاً معه لما رأته في عينيه. وإلا فهي لم تكن تشعر بكثير من العطف على كلاريسا. كل ما كانت تفكر فيه هو كم كان سهلاً على شقيقة جايمس أن تؤذي ابنتها لوسي.

«لقد أعطيت مخدراً قوياً حالياً، ويستمر ذلك بعض الحين. قد تحبان، أنت ولوسي أن تأتيا إلى منزلي لتناول الغداء معي. الكلب رابير هناك، فقد أرحت نيكولاس من مسؤوليته وهو الكثير الاشغال الآن بين عمله وزيارة كلاريسا في المستشفى والولدين في المدرسة. وطبعاً سأشاركه في تأدية الزيارات تلك. من حسن الحظ أن ليس لدي رحلات بعيدة حالياً ومن ثم يمكنني أن أمضي مع كلاريسا جزءاً من النهار في غياب نيكولاس.»

لم تحب ثانيا ما شعرت به من غيرة وهو يتحدث عن خططه هذه. طبعاً عليه أن يذهب لزيارة شقيقته، فيتأكد من تلقيها للعلاج المناسب. وعليها أن لا تنسى أن جايمس يحب كلاريسا كما تحب هي لوسي.

لكن جايمس ليس والد كلاريسا، حدثت نفسها بذلك بشيء من الغضب والمرارة. بل هو شقيقها.

على كل حال، فقد حدثت نفسها بأنها سخيفة وظالمة لها.

قالت له بهدوء: «شكراً لزيارتك هذه.» وتجاهلت تغير ملامحه من الارهاق إلى نظرة حادة حافلة بالضيق والألم تقريباً وهي تضيف باختصار: «لسوء الحظ آسفة لعدم تمكننا من تناول الغداء معك. لقد سبق ورفضت دعوة معائلة من آن فيلدينغ، وبصراحة، أشعر بأنني حالياً أريد أن أمضي أكثر ما يمكنني من الوقت مع لوسي، وحدنا.»

شملتها رجفة بينما امتزت يداها. ورأت من الطريقة التي نظر جايمس فيها إليها أنه يعرف السبب في ذلك. قال لها بصوت خافت لا تسمعه لوسي: «لا أستطيع أن أعبر لك بالكلمات عن أسفي لما حدث. وأنا متفهم لحاجتك للبقاء معها، وحمايتها. ولكن ليس ثمة فائدة من مبالغتك في ذلك، إن كل ما سينتج عن ذلك هو شعورها بالاختناق، والتسبب لها...»

لم تستطع الاحتمال، فاستدارت إليه على الفور وردت بمرارة: «كيف تجرؤ على اتهامي بأنني أبالغ في حمايتها، في الوقت الذي لا تريد أنت أن تعترف بأنك أفسدت شقيقتك بالدلال والمبالغة في الحماية وهي المرأة الراشدة وليست بالطفلة، وذلك إلى درجة أصبحت أنت بالنسبة إليها محور حياتها بأجمعها.»

سرعان ما ندمت على كلماتها القاسية هذه، مدركة أن

www.hilas.com

سببها إنما هو الغيرة والخوف اللذان أخرجاها من نفسها سهاماً مسمومة لتجرحه بها.

شحب وجهه، ولم تعرف إن كان بدافع الغضب أم الألم. ثم قال لها بجمود: «معك حق، بالطبع، فانا آخر من يحق له الانتقاد، بالرغم من أن حالة كلاريسا... حسناً، إنها عاطفياً وعقلياً، ليست محظوظة مطلقاً في أن تكون بمثل مرونة لوسي، وربما عندما يصبح لديك الاستعداد الذهني، ساحدثك قليلاً عن ماضيها. وقبل أن تقولي أنت، ربما أضع لها الأعذار، أو أبحث عن الاسباب.» أصبح صوته الآن خالياً حالياً من أي شعور وهو يشيح بوجهه عنها: «ربما هذه هي الطريقة الوحيدة التي أخفف بها من عبء شعوري بالذنب.»

عاد ينظر إليها وهو يسألها بغضب: «أحقاً تعتقدين أنني لم ألم نفسي مرات ومرات عن ذنبي في هذا الوضع المؤسف؟ وكم من اللوم يقع عليّ؟ وكم ضعف كلاريسا، واعتمادها وغيرتها كان سببه تشجيعي لها غير المقصود؟»

بدا عليه العذاب وعدم الثقة بالنفس، والذي كان جزءاً من شخصيته، إلى حد اندفعت معه للتخفيف عنه، متناسية مخاوفها ومشاعرها، قالت له وهي ترتجف: «يجب ألا تلوم نفسك.»

«لا ألوم نفسي؟ وكيف يمكنني غير ذلك؟»

سألتها لوسي تقاطعهما: «متى ستذهب لرؤية منزل جايمس، يا أمي؟»

لكن جايمس هو الذي ابتدأ يجيبها بصوت متعب: «ربما في وقت آخر...»

قاطعته تانيا بسرعة:

«إننا سنذهب حالما ترتدين معطفك... واحضري سترتي معك أيضاً.»

عندما أصبحا وحدهما، نظرت إليه قائلة: «هذا إذا كانت الدعوة ما زالت قائمة.»

فطمأنها بقولها: «إنها ما زالت قائمة.» ثم اخفض صوته متابعاً: «كما أنني لم أخبرك كيف حرمتني من النوم ليلة أمس. لشد ما أريدك. لقد جئت هذا النهار آملاً في أن أسيطر على مشاعري نحوك وأسير بالأمر ببطء فاسمح لك بالوقت الكافي لكي تعرفيني، ونناقش الأمور بتعقل وتوازن ونضج.»

«أمي، لقد أحضرت لك سترتك.»

عندما كانوا يهبطون السلم جميعاً، سألته لوسي: «هل رابير يقيم عندك حقاً؟»

«نعم، وأظن أن بإمكاننا أن ندربه ونعلمه شيئاً من التعقل. ما رأيك؟»

فقال بسرعة:

«آه، نعم فلنفعل هذا.»

وعندما انتهت تانيا من اقفال الباب، التفتت لترى أن لوسي قد وضعت يدها في يد جايمس ووقفت تنظر إليه باعجاب شديد.

تملك الخوف تانيا. ليس الخوف لأجل نفسها فقط، بل لأجل ابنتها أيضاً. فالأشياء تحدث بسرعة فائقة، وليس في

www.liilas.com

إمكانها الحكم على مثل هذا الوضع. ونبهتها فطنتها إلى الحذر، ولكن عندما التفت جايمس إليها باسماً، أمحى كل شيء من ذهنها.

عندما فتح جايمس باب السيارة أجلس لوسي في المقعد الخلفي وشد الحزام حولها، وقفت تانيا بجانب باب المقعد الخلفي مترددة، فقالت لها لوسي: «كلا يا أمي. اجلسي أنت في المقعد الأمامي بجانب جايمس.»

قال برقة: «نعم، يا تانيا، تعالي واجلسي بجانبي.»

وبجانبه، ارتفعت خفقات قلبها وتوهج وجهها. وإذ التفت ينظر في وجهها، عضت شفتها وقد اعتقدت أن ليس بإمكانه قراءة أفكارها. فمشاعرها لا يعرفها سواها. إلى أن انطلق جايمس بالسيارة ثم قال لها برقة: «إن مشاعرك هي نفسها مشاعري. وبالعكس مما هو معروف، فأكثر الرجال لا يريدون أن يكون اعجابهم بامرأة معينة بالغ إلى حد أن مجرد التفكير فيها يعميهم عن كل شيء آخر. خصوصاً عندما يصبح الرجل في سني.»

عندما استدارت تحدق إليه، قال بخشونة: «لا تنظري إليّ بهذا الشكل. إياك، وإلا فلن أتمكن من قيادة السيارة كما يجب.»

في محاولتها مقاومة أحاسيسها المضطربة، استدارت إلى الخلف تسأل لوسي عما إذا كانت مرتاحة، وهي تشعر بتوهج وجهها وتغير صوتها.

ربما لأنها لم تعرف من قبل مثل هذه المشاعر، تملكها

خوف مفاجيء من أن يغير هذا طريقة حياتها. لم يكن ثمة رجوع الآن والعودة إلى وضعها الآمن السابق. حتى ولو لم تر جايمس مرة أخرى، حتى ولو أخرجته من حياتها نهائياً، فهي لا يمكن أن تنساه مطلقاً.

شعرت بالسيارة تتباطأ في سيرها، فنظرت حولها. كانوا يدخلون من بوابة حديدية كبيرة.

قال لها: «من هنا جاء اسم البيت ساحة اليمام. لقد بني المنزل في القرن السادس عشر، وهذه الملحقات حوله أقيمت في القرن الثامن عشر. وعندما اشترى المقاطعة أول وارن ليستقر فيها، يبدو أنه أنشأ هذه الملحقات ليسر عروسه. ربما، لهذا ليس تصرفي نحوك غريباً، إذ لا يبدو أنني أول وارن يقع في الحب بهذا الشكل العميق الجارف.»

لم تكن لوسي تستمتع إليهما، بل كانت لا تنفك تهتف بابتهاج أثناء دخول جايمس طريق المنزل الذي كانت ساحته مغطاة بأوراق الشجر المتساقطة من الأشجار التي تحف بجانبي الطريق.

عندما رأت تانيا المنزل من جانب النهر، لم تدرك مبلغ ما هو عليه من مهابة واتساع. ولكنها ما لبثت أن شعرت بالارتياح والسيارة تقف بهم أمام الباب، إذ لم تجده بالمهابة التي كانت تخافها، لقد كان مؤلفاً من ثلاثة طوابق على الطراز الكلاسيكي بسطح المغطى بالقرميد.

بقي جايمس في السيارة معطياً فرصة لتانيا لتفحص المنزل بصمت، إلى أن قالت لوسي بفروغ صبر: «أين

www.liilas.com

رابير. هل يمكنني أن ألعب معه في الخارج يا جايمس، من فضلك؟»

«بعد أن نحتسي والدتك وانا فنجاناً من الشاي، سنذهب لنتمشى خارجاً.» ثم التفت إلى تانيا قائلاً بهدوء: «اهلاً بك في البيت الذي آمل أن يصبح قريباً جداً، بيتك الجديد يا تانيا.»

الفصل التاسع

اغرورقت عينا تانيا بالدموع، وأخذت تفك الحزام بيدين مرتجفتين، تاركة شعرها ينسدل إلى الأمام ليخفي ما ارتسم على ملامحها من مؤثرات، عن عيني جايمس.

هل هذا المكان سيكون بيتها؟ ما أعظم الفرق بينه وبين شقتها في المدينة، تلك. ولكنها بدلاً من أن تشعر بالرهبة وهي تسير مع جايمس خلال ممر الردهة الرائع المغطى بالقرميد، شعرت وكأن المنزل يرحّب بها.

كانت رائحة دهان شمع النحل المصقولة به الألواح الخشبية التي تبطن الجدران، وأزيز قطع الحطب الضخمة المشتعلة في المدفأة، كل ذلك بدا لها بشكل ما، مألوفاً. شعرت وكأن المنزل يتمتم مرحباً راضياً بها، مشيعاً الدفء حولها.

على منضدة ضخمة مصقولة من خشب السنديان، وبقرب أصيص ضخم من أزهار الخريف، وضعت صورة فوتوغرافية كبيرة ذات إطار فضي. نظرت هي إليها بشكل آلي، فانحبست أنفاسها وهي تراها تمثل جايمس أصغر سناً بكثير مما هو الآن، وهو يقف بجانب رجل أكبر منه وامرأة، ولا بد أن الفتاة التي كانت تقف بجانبه هي كلاريسا.

كأنما أحس بما تفكر فيه، فتقدم من المنضدة وتناول

www.kilas.com

الصورة قائلاً: «إنهما والدي ووالدة كلاريسا بعد زواجهما بوقت قصير. لقد تملكته وحشة عميقة بعد وفاة والدتي، وقد جعلته هاريت رجلاً سعيداً للغاية...»

كان على وشك أن يقول شيئاً آخر، ولكنه سكت بعد إذ سمعا صوت نباح مفاجيء من خلف أحد الأبواب. فتح شخص ما الباب من الناحية الأخرى ليندفع منه رابير يرحب بهما ببهجة خالصة.

اعتذرت المرأة البدينة والتي كانت تلهث، وهي تلحق به: «أنا آسفة، يا سيد وارن. ولكنه كان متوتراً للغاية.»

«لا تهتمي لذلك يا جين، وبما أنك هنا، دعيني أقدمك إلى السيدة كارتر وابنتها لوسي.» وجرّ تانيا إلى الأمام ثم وقف خلفها واضعاً يديه على كتفيها بخفة، بينما كانت هي تصافح السيدة.

شعرت تانيا وهو يقدمها إلى جين ويليامز، مدبرة منزله، بأنه كان يظهر علاقتهما واضحة لتلك المرأة، ولكن سواء كانت المرأة مدهوشة أم غير راضية، إلا أن ابتسامتها الدافئة المرحبة التي منحتها لتانيا، أخفت ذلك. وعندما التفتت إلى لوسي هتفت بسرور: «هذه إذن السيدة الصغيرة التي ستأخذ رابير الوغد هذا من المطبخ لفترة قصيرة.»

عندما استأذنت مدبرة المنزل للذهاب لإنهاء الغداء، قال جايمس لتانيا: «أخشى أن جين تجد في رابير محنة لها، ليس لأنها تكره الحيوانات، بل لأن المطبخ يحكمه، في الواقع، هرّ ضخم كسول دللته هي إلى أقصى حد، ولكن سلوك رابير غير حسن. لقد كنت قلت لكلاريسا حين

اشترته أنه من الأفضل لها شراء كلب أكثر وداعة ومسالمة. ولكن قلبها مال إليه وحده. ورفضت القيام بأية محاولة لتدريبه وذلك دون شعور بأيّ مسؤولية تلك. إنه ليس ذنب الكلب فهو وديع الطبع. ولكنه أشاع الفوضى في المنطقة حين أخذ يهرب من المنزل ليهاجم بعض الطيور التي يربيها الكولونيل والترز لموسم الصيد عنده. وقبل ذلك أوشك على إغراق نفسه وهو يطارد البط في بركة الطاحونة.»

سألته تانيا: «هل من الممكن تدريبه الآن أم فات الأوان؟»

لقد شعرت تانيا، وقد أصبحا وحدهما بعد أن ذهبت لوسي إلى المطبخ للتفرج على الهر السالف الذكر، شعرت فجأة بخجل بالغ مصحوب بالتوتر.

أجابها جايمس: «كلا، لم يفت الأوان على ذلك بعد.» ثم سألها برقة: «ما بك؟ هل أنت خائفة مني حقاً؟»

فهزت رأسها على الفور، شبه ضاحكة من ضعفها وهي تقول: «كلا، ليس منك. ولكنني خائفة من... حسناً، من كل شيء آخر.»

بدا للحظة، أنه لم يفهم قصدها، فقطب جبينه وأخذ ينظر في أنحاء غرفة الجلوس الجميلة التي كانا يقفان فيها، ثم سألها بهدوء: «البيت... هل البيت هو الذي يخيفك؟»

«كلا، ليس البيت. وإنما هذا... هذا الشيء الذي بيننا.» كانت ما تزال غير قادرة على التعبير عن مشاعرها بالكلمات، وأن تقول له كما قال هو لها، انها تحبه: «لقد حدث كل هذا بسرعة... وبشكل غير متوقع.»

www.liilas.com

«أتريدين أن تقولي إنك غيرت رأيك؟ وإنك لم تعودي تريدينني وإننا ليلة أمس...»

قاطعته: «كلا، أنا لا أعني هذا. قد لا أكون في مثل خبرتك، وقد لا يكون لديّ خبرة على الإطلاق ولكنني أعلم أن...» وسكتت لتأخذ نفساً عميقاً، ثم رفعت نظرها إليه وهي تقول بصراحة: «إنني أعلم أن الحب الذي ربط بيننا وتصارحنا به الليلة الماضية، هو شيء غير عادي، شيء... شيء نادر وثمين، ولكن هناك مشاكل جمة... كثيرة للغاية...»

فسألها: «هل تفكرين في كلاريسا؟»

أومأت برأسها ببطء، لم تكن تريد أن تفصح عن شكوكها ومخاوفها، لم تكن تريد أن تفضي إليه بما يعتمل في نفسها، ولكنها شعرت بأن العداء المتأصل في أعماقها بينها وبين كلاريسا كان كذرة من السم هي من الضآلة بحيث لا يكاد يصدق أحد بأنها يمكن أن تؤثر مقدار ذرة على شعورها نحوه، ولكن في نفس الوقت، بأن ذلك شيء سيفسد أي سعادة قد تشملهما في المستقبل، وأن في دفنها وتجاهلها، قد تسمح لها بالنمو اكثر.

كلاريسا هي شقيقة جايمس قانونياً. وقد اعتاد دوماً أن يحبها ويحميها. فكان من الطبيعي أن يهتم بها، ويجد لها الأعذار. فتانيا تشك في أنها سترضى عن حبه لها هي، أو برغبته في حمايتها تماماً كما تشك في أن كلاريسا ستتمكن من قبول امرأة أخرى، أي امرأة، في حياة شقيقها.

بينها وبين نفسها، لم تكن تعلم إن كانت تملك الصبر

والطباع أو العطف للتعامل مع سلوك كلاريسا العصبي الخطر، ثم حتى ولو كانت مستعدة لذلك، فتحاول أن تقبل دور كلاريسا في حياة جايمس، كيف بإمكانها حتى التفكير في أن تسمح بأن تتعرض لوسي لحقدها مرة أخرى.

بقدر ما كانت ترغب في جايمس، وتحبه، وتشتاق إليه وتحتاج إليه، كانت تتساءل كيف يمكن أن يكون لهما مستقبل معاً وكلاريسا بينهما على الدوام؟ حتى ولو كان من نوع النساء الذي يطلب منه أن ينبذ كلاريسا من حياته، حتى ولو كان هو من نوع الرجال المستعد للقيام بعمل كهذا، كيف يمكن أن ينمو أي نوع من الحب العميق بينهما إذا هي أرغمته على أن يصمم على قرار من ذلك النوع؟ كيف يمكن أن تتقبل هي ذلك نفسياً إذا هي فعلت ذلك، بصرف النظر عن توقعها أن يعيش جايمس معها ويحبها؟ ثم كيف يمكن أن يمكّنهما ذلك من بناء حياة مشتركة معاً، حياة آمنة لحبهما، وللوسي ولأولادهما الذين قد ينجبانهم إذا كانت كلاريسا هناك على الدوام، تنكرها بما كان حدث، وكيف كانت هددت سلامة لوسي؟

كانت هذه مشكلة لا حلّ لها. والآن، وهي ترى الكآبة والألم في عيني جايمس، همست له بألم: «ألا تستطيع أن ترى أنه عليّ أن أفكر في لوسي... وتعرضها للخطر؟»

قال: «نعم، نعم. يمكنني أن أرى ذلك ولكن دعيني أوضح لك الأمر بالنسبة إلى كلاريسا، يا تانيا فاجلسي لحظة، أرجوك.»

www.liilas.com

امتثلت تانيا كارهة وجايمس يقودها إلى مقعد وثير بغطاء مطرز، ثم جلس قريباً منها وسرد لها التفاصيل: «لقد هجر والد كلاريسا والدتها عندما كانت هي في السابعة من عمرها. وقبل ذلك كان يعامل زوجته بجهل مطبق إلى حد حاول فيه تحويل كلاريسا ضدّ والدتها، وعندما ترك أسرته أخيراً وذهب ليعيش مع امرأة كانت صديقته لسنوات عديدة، تحطم قلب كلاريسا وذلك إلى حد خافت معه والدتها على حياتها. في البداية، وضعت كلاريسا اللوم لهجران والدها هذا على والدتها كلياً، ويبدو بعد ذلك، أنها أخذت تلوم نفسها، معتقدة أن والدها قد نبذها لخطأ قامت به. لا أظن أن أي شخص بإمكانه أن يفهم حقاً ما يدور في عقل الطفل الضعيف، يمكنه أن يعلم تماماً مبلغ الدمار الذي نقع فيه عندما نتجاهل مشاعر أولئك الأطفال، مقدّمين عليها مشاعرنا واحتياجاتنا الخاصة. على ما يبدو، أصبحت كلاريسا منطوية للغاية على نفسها عاطفياً، ابتداء من رفض قبول حقيقة أن والدها قد رحل حقاً، إلى رفض السماح بأن يذكر اسمه أمامها. حتى بعد سنوات من ذلك، حين تزوجت والدتها من والدي، كانت ما تزال غير قادرة على سماع اسم والدها، إنها لم تره مرة أخرى بعد طلاقه من والدتها. فقد تزوج ثم رحل للعيش في الخارج. وعندما جاءت إلى هنا لتستقر بدا عليها أنها تريد أن توثق الروابط بيننا. وشعرت بالأسى عليها من كل قلبي. فقد كنت فقدت والدتي أنا أيضاً، ولكنني كنت أكبر سناً منها وأكثر خبرة بالعالم... وقد فقدتها

بطريقة مختلفة غير مفاجئة ما لم يشكل لي صدمة، كما حدث لكلاريسا.»

«ربما دون انتباه مني، سمحت لها بأن ترتبط بي بشكل أكثر مما ينبغي وكذلك تعتمد عليّ، ولكنني حين أخذت أرى مبلغ الخطر والأذى الذي حصل، كان قد فات الأوان للانسحاب من كل ذلك دون إلحاق الضرر بها تماماً. دون أن أبدو، في نظرها على الأقل أنني هجرتها كما سبق وفعل والدها من قبل. وهذا كان السبب في لهفتي إلى أن لا تحطمي زواجها. كنت أعلم مقدار ضعفها وهشاشتها، وكيف...»

قالت تانيا وهي ترتجف: «نعم، إنني متفهمة لكل ذلك، ولكن التفهم لا يغيّر شيئاً يا جايمس.» وبدا في صوتها الحزن: «فهذا لا يغيّر من الواقع وهو أن كلاريسا ستكره دوماً أيّ امرأة أخرى تتزوجها، وفي حالتي...»

«تريدينني أن أنبذها من حياتي، لكي...»

فقالت بعنف وغضب لظنه بها هذه الأنانية: «كلا، كلا لا اريد هذا بالطبع، وكيف بإمكانك ذلك؟ كلا، فأنا لا أطلب منك شيئاً، أو على الأقل، لا شيء كهذا. كل ما أريده هو أن تدعني أذهب. أن تدعني أذهب الآن، قبل أن يفوت الأوان ولا يعود لديّ أي إرادة أو قدرة على فراقك. فأنا في مشاعري وغيرتي، مثل كلاريسا. لا أريد أن تفسد مشاعرنا نحو بعضنا البعض عدم قدرتي على الانسجام معها والقبول بمشاركتها لي في حياتك، كما أنني لا أستطيع أن أسمح بأن تتعرض ابنتي لغيرتها، ألا ترى هذا يا جايمس؟ لا يكفي أننا نتبادل الحب. فأنا لا أستطيع أن أتحمل الوقوف والتفرج

على كيفية تدمير الواحد منا للآخر، لأنني أعلم أن هذا ما سيحدث. ليس هذا في وسعي لا يمكنني الثقة بكلاريسا، ولا أحبها ولن أشعر أبداً بالراحة أو الاطمئنان. هذا ذنبي أنا وليس ذنبها.»

سكتت والدموع تلتمع في عينيها وهي تتوسل إليه أن يفهم أن هذا ليس ما تريده بل لا تريد سواه، هو جايمس، ولكن كيف سيمكنها أن تحتمل إذا هي أذعنت إلى حبها له فتكتشف يوماً ما أنه لا ينظر إليها بحب بل باستياء وبمرارة.

قال يوافقها على رأيها بحزن: «نعم، ربما الحق معك وأن الحب وحده ليس كافياً. لا يمكنني لومك لمشاعرك نحو كلاريسا.»

فقالت: «يمكنني تفهم رغبتك في حمايتها، ربما إذا كان لديّ طبيعة أكثر سخاء...»

فهز رأسه: «كلا، بل لديك طبيعة سخية. أكثر الطبائع سخاء. آه، يا تانيا. لا أظن بإمكاني احتمال ذلك فقد انتظرت كل ذلك الزمن لكي أجدك، وإذا...»

فقالت مقاطعة كلامه: «نعم، كان من الممكن أن يكون الأمر أفضل لو أننا لم...»

قال مستنكراً بعنف: «كلا، كلا. فأنا لن أندم ابداً على أنني عرفتك، وأحببتك.» سكت لحظة ثم عاد يقول: «وفي الليلة الماضية، أخذت أحلم... أتدرين بماذا يا تانيا؟ أخذت أحلم بزواجنا وإنجاب طفل منك... طفل يربطنا ببعض حتى آخر العمر.»

فتملكها ألم هائل، طفل من جايمس... ولكن ما الفائدة

من ذلك؟ ما الفائدة لأي منهما؟ إن كل ما سيكون من وراء هذا هو إضافة عبء آخر إلى حياتهما، وإلى غيرة كلاريسا التي لا يمكنها السيطرة عليها، وسيكون لديها هي حياة أخرى تقلق لأجلها... عبء آخر من الخوف عليها أن تحمله. ولكن، طفل جايمس...

سمعت صوت لوسي خارج الباب فابتعدت عن جايمس دون أن تنظر إليه، لم تعد تستطيع النظر إلى أي شخص.

كانت تعلم أن الدموع في عينيها، وأن كل الحزن والعذاب مرتسم على وجهها. نهضت متثاقلة تسير نحو النافذة حيث أخذت تنظر إلى المشهد الجميل في الخارج، بعينين لا تريان.

لماذا؟ لم حدث لها كل هذا؟ هذا ظلم... ظلم.

كانت بقية النهار عذاباً لا يوصف بالنسبة إليها، كانت ترى جايمس وهو يقاوم جهده لعدم الاستجابة لسرور لوسي الواضح بصحبته. فرفضه لشغفها الواضح به سيؤدي حتماً إلى جرحها معنوياً وبعث الاضطراب في نفسها. كانت تانيا ترى ذلك ولكنها كانت تتمنى لو أن لوسي لم تكن تحبه، بل تكرهه وتستاء منه. وبذلك... بذلك تكون واحدة منهما هي التي ستتألم فقط لفراقه. أما الآن فإنهما ستتألمان هما الاثنتين.

عندما حاولت برقة، أن تقترح الذهاب باكراً، بدت الخيبة المطلقة على لوسي إلى حدّ لم يحملها قلبها على الاصرار، هذا إلى ما كانت تشعر به من عذاب وهي تدرك أنه ليس فقط هناك أمل في أن يجمعها المستقبل بجايمس، بل أيضاً

www.liilas.com

لإدراكها أن لوسي ستفقد بذلك زوج والدة سيكون بمثابة والد رائع محب لها.

لو أن فقط... لو أن ماذا؟ سخرت من نفسها وهي تنظر إلى طعام الغداء الذي كانت جين ويليامز قد أعدته... تنظر إليه غير قادرة على تناوله... لو أن فقط كلاريسا تختفي... تتبخر في الهواء، ولكن هذا غير محتمل على الإطلاق، حتى ولو حدث، فهي تعلم أن جايمس يجب أن يهتم بشقيقته إلى درجة إذا حدث لها أيّ أذى، سيؤذيه هو أيضاً كذلك.

عند الساعة السادسة والنصف، أعلنت أنها ولوسي، عليهما أن تذهبا. وبينما كانت لوسي تثرثر بفرح وابتهاج طوال طريق العودة إلى البيت، بقيت هي صامتة متوترة.

هذه المرة أصرت على الجلوس بجانب لوسي في المقعد الخلفي، فهي لم تكن واثقة من أنها إذا هي جلست بجانبه، من أنها لن تنهار باكية نائحة على حبها، كطفلة صغيرة.

لم تكن تنوي دعوته إلى دخول بيتها، وعلى كل حال، فقد قالا كل ما ينبغي أن يقال وكل ما يمكن أن يقال.

إنه يحبها، كانت تعلم ذلك، وهي تحبه، ولكن كما سبق وقالت له، ليس هذا كافياً. ولكن يبدو أن لوسي كان لديها رأي آخر. فقد كان جايمس وعدها بأن يقرأ لها حكاية قبل النوم.

عندما ترددت ثانيا، ألقى عليها نظرة عجز وهزيمة

أدركت معها أن ليس أمامها خيار آخر سوى دعوته للدخول.

أرسلت لوسي إلى الحمام لتغتسل، ثم صنعت لنفسها ولجايمس كوباً من الشاي، احتسياه وهما جالسان بعيداً عن بعضهما البعض وقد سادهما صمت مشحون بالتوتر والضيق.

عندما قرأ جايمس للوسي حكايتها وهو جالس بجانب السرير، تشاغلت ثانيا بالعمل في المطبخ، محاولة أن لا تفكر في واقع أنها، بعد هذه الليلة لن يكون بالنسبة إليها سوى شخص غريب وأخ كلاريسا.

لم تنتبه إلى دموعها التي كانت تغسل وجنتيها، وهي تغسل وتعيد غسل الفنجان مرة بعد مرة، عندما سمعت صوت جايمس يدخل المطبخ قائلاً بصوت متهدج: «لقد نامت، والأفضل أن أخرج.»

فقالت بانكسار:

«نعم.»

ظنت أنه ذهب، إلى أن شعرت بيديه تقبضان على كتفيها وهو يسألها بخشونة: «هل هذا كل ما يمكنك أن تقوليه؟ هل هذا فقط؟»

ثم رأى الدموع المنهمرة من عينيها، ومن خلال خفقات قلبها القوية، سمعته يشتم، ثم يقول لها بحرارة ولهفة ان تكف عن البكاء، وأنه يحبها... وأنه لا بد أن تكون هناك طريقة ما...

كان الاثنان يعلمان أن ليس هناك أي وسيلة، ولكن ذلك لم يمنعهما من تمضية ما بقي من المساء معاً يتحادثان،

www.liilas.com

وكأنما يريدان أن يتودعا في هذا الوقت القصير من كل ما تحفل به الحياة من حب.

قال لها بغضب تقريباً: «لشدّ ما أحبك.»

فقالت بصوت تخنقه الدموع: «وأنا أيضاً. إن ذكرى ليلة الوداع هذه ستبقى معي طوال الحياة.»

كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً عندما رن جرس الهاتف. فتناولت السماعة، وإذا بالتوتر يتملكها وهي تسمع صوت نيكولاس يقول بقلق: «تانيا، أنا نيكولاس. لقد اتصلت لتوّي بمنزل جايمس. هل ما زال جايمس عندك؟ لدينا أمر مستعجل هنا في المستشفى، ذلك أن كلاريسا لا تتجاوب مطلقاً مع العلاج. فهي لا تنفك تطلب رؤيتنا جايمس وانا...»

بصمت، ناولت السماعة لجايمس وقد بدا التوجس في عينيها. ها قد بدأ الأمر وتدخلت كلاريسا بينهما، تقتحم أجمل لحظات حياتهما...

نهضت تجول في أنحاء الغرفة تحاول أن لا تسمع صوت جايمس.

وضع السماعة بعد لحظات ثم قال معتذراً بصوت متوتر: «إنني آسف. ولكن عليّ أن أذهب.»

لقد كانت تعلم ذلك مقدماً، ظانة أنها قد استعدت له. لقد سبق وحدثت نفسها أن عليه الذهاب، ولكنها لم تكن مستعدة لألم فقدانه بهذه السرعة، وبهذا الشكل المفاجيء.

لكنه كان ينتظر منها أن تتكلم... أن... أن ماذا؟ أن تعطيه اذناً بالخروج... إنه ليس بحاجة إلى إذن منها. لكي تجعل ذهابه سهلاً عليه وابتلعت الكلمات المرة العنيفة التي كانت

تتفاعل داخلها تريد الانطلاق، لتقول بدلاً منها، وبهدوء قدر استطاعتها: «نعم، نعم بالطبع.»

اقترب منها، ولكنها ابتعدت عنه بحركة آلية. رأته يتردد وقد نطقت عيناه بالألم والعذاب. ومن مسافة الأقدام القليلة التي كانت تفصل بينهما أخذ الواحد منهما ينظر إلى الآخر. ثم أدارت له ظهرها وهي تقول بصوت مبحوح: «الأفضل أن أذهب للاطمئنان على لوسي، وأنت تعرف طريق الباب.»

هذه المرة انتظرت إلى أن تأكدت من خروجه. لم تكن جبانة فقد كانت فقط تقوم بما هو الأفضل لهما. إنها لم تكن تحتمل رؤيته وهو يرحل، عالمة بأن كل شيء بينهما قد انتهى.

انتهى... ولكنه لم يكد يبدأ... وتملكها الحزن المبرّح لرحيله، حزن لحق حبهما في الحياة، ولإنكار هذا الحق.

www.kitas.com

الفصل العاشر

أما كيف أمضت تانيا الأسابيع التي تلت، فلم يكن لديها فكرة، لم تر أثناءها جايمس، وسمعت من كلام الناس أن كلاريسا قد سافرت إلى اميركا لتستشير اختصاصياً لديه مستشفى لاقى نجاحاً ملحوظاً في نوع مشكلتها بشكل خاص.

لكن سواء شفيت أم لا، لم يكن لدى تانيا فرق، فكلاريسا لن تقبل أبداً أي امرأة في حياة جايمس. وخصوصاً هي، ومادامت هي تانيا على علاقة مع جايمس، فهي لن تطمئن أبداً إلى سلامة لوسي، برغم كل ما قاله عن شقيقته فقد لاحظت تانيا أنه لم يستنكر خوفها هذا.

كان مزاجها يتراوح متقلباً بين قنوط مر ونوبات جنونية كانت ترفض أثناءها حتى أن تتذكر انها عرفت يوماً شخصاً اسمه جايمس وارن.

لم يكن ثمة مناص من ان تعاني صحياً من هذا الوضع، واكثر من ذلك ملاحظة الناس له، وخصوصاً آن التي أمسكت بها حين جاءتها ذات يوم بحجة استشارتها بالنسبة لحفلة ذكرى مولد سوزان القادم.

وإذ كانت لوسي في فراشها، لم تجد تانيا، ابداً عندما سألتها آن بخشونة عن أمرها، إلا ان تفضي إلى صديقتها بما حدث.

حدقت آن اليها وكأنها لا تصدق ما سمعت: «اتتركينه

بسبب كلاريسا؟ ولكن هذا جنون. فكلاريسا امرأة ناضجة، هذا إلى انها امرأة لديها زوج وأولاد.»

قالت تانيا: «انها معتمدة تماماً على جايمس. ولكن ليس هذا فقط. فأنا لا اعاني من كل هذا نتيجة الغيرة، فإن هناك لوسي علي ان اضعها في الاعتبار. الا ترين يا آن؟ قد يمكنني القبول بوجود كلاريسا في حياة جايمس إذا كان الأمر يتعلق بي وحدي، ولكن هناك لوسي أيضاً.»

سألتها آن بعطف: «اتظنينها ستعود إلى إيذاء لوسي مرة أخرى؟»

«دوماً سيكون في زاوية من ذهني توقعات كهذه.»

«نعم، إنني أفهمك، ولكن ربما إذا وافق جايمس على...»

«على ماذا؟ ان ينبذها من حياته نهائياً؟ كيف يمكنني ان اطلب منه ذلك؟ لا يمكنني أن اقول له، بما انك تحبني، اطردها إذن. سيكون هذا ظلماً، كما انني لن اتمكن من العيش راضية النفس إذا أنا أرغمته على اتخاذ قرار كهذا، انه مهتم بكلاريسا، ولنواجه الحقيقة، إذا أراد ان يهجرها... حسناً، هل تريدين أن تحبي رجلاً يقوم بعمل كهذا؟ هل ستثقين به؟ انا شخصياً لا استطيع.»

اجابتها آن: «إنني افهم ما تعنين. ولكن لا بد أن يكون هناك وسيلة.»

هزت تانيا رأسها بحزن: «ألا تظنين أنني طالما بحثت عن ذلك دوماً وأبداً؟ لو كانت كلاريسا أقل عدم اتزان عاطفي، وإذا كان ممكناً التحدث إليها... ولكن حسناً حتى ولو شفيت هذه المرة، فهناك دوماً الخوف من انهيار عصبي آخر.»

www.liilas.com

«آه، يا تانيا.»

قالت تانيا وهي ترتجف: «نعم، أعلم هذا.» ثم أغمضت عينيها متعبة!

«اشعر فقط بالتعب، يا آن. اشعر وكأنني أريد ان اهرب واختبىء من كل ما يحدث لي.»

لقد ندمت الآن لأنها حدثت صديقتها بكل هذا وتساءلت عما ستقوله آن لو انها علمت بأنها تستيقظ في كل ليلة والدموع تغسل وجهها واسم جايمس على شفتيها.

كانت تعلم جيداً أنه اذا علم بحالتها هذه فهو سيقوم بالمستحيل لكي يجعلها تغيّر رأيها، وأحياناً، في لحظات الضعف، كان إغراء ذلك كبيراً. وبعد، ان لديها الحق في السعادة هي أيضاً. كما ان لوسي لديها الحق في أن تحظى بزوج والدة يحبها ويدللها.

لكن مع هذين الحقين، يكمن الخطر. فهي لا تريد تعريض ابنتها لغيرة كلاريسا، كما ان ليس في امكانها ان تحتمل العيش وهي تعلم ان سعادتها مبنية على تعاسة كلاريسا، كما سيحدث لو انها طلبت منه ان يقاطع شقيقته.

* * *

بعد ذلك بأسبوعين، قبلت نزولاً عند اصرار آن، أن ترى الطبيب.

لقد فكرت منطقياً في أنه اذا ما انهت كلاريسا علاجها، فإنهم جميعاً سيعودون إلى انكلترا ولهذا إذا كانت تريد أن تحمي نفسها وابنتها، فعليها ان تبيع متجرها الآن ثم تبدأ حياة جديدة في مكان بعيد من هنا.

كان جايمس قد اتصل بها هاتفياً عدة مرات، ولكنها في كل مرة كانت تختصر المخابرة.

كانت كلاريسا تتجاوب جيداً مع العلاج، كما أخبرها، وقد تدبر هو أمره بحيث يجمع بين وجوده الإضطراري في اميركا، وبين بعض اعماله غير المكتملة هناك، وقد رأت نيكولاس بشكل مختصر في بعض المناسبات وعلمت أنه كان يمضي كل أوقات فراغه إما مع ولديه، وإما في اميركا مع كلاريسا.

لم تستطع إلا ان تفكر بمرارة بمبلغ حسن حظ المرأة الأخرى... زوج مخلص... وشقيق يماثله اخلاصاً.

كل هذا بدا لها أمراً بعيداً عن العدالة، بعدها علمت أن جايمس وكلاريسا سيعودان إلى الوطن لقضاء العيد.

لقد أخبرتها بذلك جين ويليامز، فقد حدث ان قابلتها صدفة في السوبر ماركت عصر ذات يوم حيث كانت تتسوّق، وأشرق وجه المرأة لرؤيتها، ولو انها هتفت باهتمام لدى رؤية قوام تانيا البالغ النحول، وشحوبها، وذلك ككل شخص آخر.

اخبرتها المرأة ان كلاريسا تتجاوب بشكل جيد جداً للعلاج المتطور الذي تخضع له في اميركا، كما ان المرأة تلقت من جايمس رسالة طويلة يخبرها بأنهم سيعودون جميعاً إلى الوطن لقضاء العيد.

بعد ذلك، وهي تتوجه إلى سيارتها مع مشترياتها، توقفت بعد أن أدركت أنها كانت تبكي.

كانت قد أمضت ساعات في البكاء، فيما بعد، عندما اعادت آن لوسي من المدرسة، وألقت صديقتها عليها نظرة

www.liilas.com

واحدة، ثم قالت لها جادة، ان كلاريسا لن تكون الوحيدة المصابة بالإنهار العصبي.

فقالت تانيا: «أعرف هذا، عليّ حقاً أن أسترد رباطة جأشي.»

«ليس هذا ما قصدت وأنت تعرفين هذا، انظري إلى نفسك... ثم إن ليس نفسك ما عليك أن تهتمي بها الآن أليس كذلك؟ هناك لوسي.»

«أعلم ذلك، عليّ ان اتدبر أمر بيع المتجر ثم أرحل من هذا المكان، ولكن يبدو أن ليس لديّ الطاقة للقيام بأي شيء، هذا والعيد سيحلّ بعد أقل من شهر و...»

هتفت آن بفزع: «ترحلين من هذا المكان؟ لا يمكن ان تفعلي ذلك، ثم لماذا ترحلين؟ ظننتك احببت هذه البلدة، ثم ان عملك يسير بشكل حسن.»

«لا استطيع البقاء هنا الآن، عندما يعود جايمس...»

ارتجفت فجأة، شاعرة بالبرد والإغماء، بينما سمعت شهقة آن وهذه تندفع إليها لتجلسها على كرسي: «انظري إلى نفسك، لا يمكنك ان تستمري بهذا الشكل، انك تفقدين من وزنك، انك بالغة الشحوب، انك تقتلين نفسك، يا تانيا.»

جعلت قسوة آن عينيها تغرورقان بالدموع، ولكنها جعلتها أيضاً تدرك تماماً أن الحق مع آن، وفجأة شعرت ببرد لا يحتمل.

عندما رأت آن تأثير كلماتها على تانيا، ابتسمت لها عابسة: «والآن عليك ان تحضري معطفك، ستعودين ولوسي معي، وستمكثان عندي، إلى ان اقتنع بأنك تحافظين على نفسك، وإلا...»

فسألتها تانيا متحدية وهي ترتجف: «والا ماذا؟»

أجابت آن بهدوء: «وإلا فساخبر جايمس.»

حدقت تانيا إليها وهي تهمس متوسلة: «كلا يا آن، ارجوك لا تفعلي هذا.»

في النهاية، اضطرت تانيا إلى الامتثال لمخاوف صديقتها، والناتج عن حنان الأمومة، لها. وأمضت مع ابنتها اسبوعاً مع آل فيلدينغ حيث اقامتا في غرفة الضيوف المدهونة حديثاً، مستعملتين الحمام الجديد الجميل الذي كانت آن انشأته حديثاً، والذي افرغت فيه مهارتها في الرسم فجاء رائعاً.

لقد اخبرتها تانيا بانها أحبت بشكل خاص، الغيوم التي كانت آن رسمتها على السقف، لذا قالت لآن ضاحكة: «عندما استلقي في حوض الحمام، انظر إلى السقف فأتصور نفسي مستلقية على شاطىء البحر.»

كانت قد ابتدأت تستعيد شيئاً من وزنها المفقود، ولكن وجهها مازال نحيلاً للغاية، بينما كانت عيناها تتضحان حزناً.

أما لوسي والتي كانت تذكر اسم جايمس في كل جملة تقولها وذلك لمدة اسابيع منذ ذلك الأحد الذي امضته مع والدتها في بيته، لوسي هذه لم تعد تذكره إلا لماماً، ولكن بلهجة التمني والتي لم تفشل في بعث الدموع إلى عيني والدتها.

جاء شهر الأعياد، وقامت تانيا وآن بعدة غزوات إلى مدينة تشستر لشراء الهدايا. وحيث انها الآن قد استردت شيئاً من قوتها، قررت ان تجعل هذا العيد استثنائياً بالنسبة للوسي.

www.kilas.com

كانت قد أوقفت كل شيء بالنسبة إلى بيع المتجر إلى ما بعد الأعياد. لم تكن تريد أن تنتقل، فهي تحب هذه المدينة واهلها، وقد شعرت بالإستقرار هنا وكأنها في موطنها... ولكن كيف بإمكانها أن تقيم فيها الآن وهي بهذا القرب من جايمس؟ انها تعلم جيداً انها ستذعن له إذا هو أصرّ على الزواج منها.

مع مرور الأسابيع، كان شوقها إليه يزداد ولا يخف، شوق إلى أن يكون معها فيبدد وحشتها وآلامها، ويخبرها بأن كل شيء سيصبح على ما يرام وانهما سيكونان معاً على الدوام.

أحياناً كانت تحلم بأن كل هذا قد حدث في الواقع وإذا بها تستيقظ لتكتشف انها ما زالت وحيدة فتنهمر الدموع من عينيها وتمضي بقية الليلة في العذاب متمنية أن الأمور ستتغير بشكل ما.

في منتصف شهر الأعياد، اصرت على العودة إلى بيتها.

كانت لوسي مبتهجة للغاية بقدوم العيد، وقد قرر آل فيلدينغ مع تانيا وابنتها أن يذهبوا جميعاً يوم الأحد السابق للعيد، إلى غابة ديلامير ليشتروا الحاجيات اللازمة، ومع ان تانيا رفضت دعوة آن السخية لها ولابنتها إلى غداء العيد معهم إلا انها قبلت قضاء اليوم السابق للعيد معهم.

كانت لوسي تتمنى فرحة ان يتساقط الثلج، وكانت حرارة الجو في انخفاض رغم ان التنبؤات الجوية لم تتحدث عن هطول الثلج.

ثم وصل جايمس، وكان الوقت عصر الأحد وتانيا تخبز

فطيرة لحم مفروم كما كانت لوسي مشغولة بكتابة بطاقات العيد.

اخذ يقرع الجرس، وادركت تانيا شخصية القادم، فارسلت لوسي إلى الباب لتفتحه، وقد تملكها شوق عارم.

عندما دخل جايمس إلى مطبخها، كانت تقف عند الناحية الأخرى من منضدتها الصغيرة وكأنها تحمي نفسها، وهي تنظر إليه بعينين متألمتين.

كانت تتصوره في احلامها اكثر الأحيان، فتتذكره وتحنّ إليه.

أحست وهي تراه بمشاعرها تكاد تخنقها، والضعف يشمل كيانها بأجمعه.

كان هو أيضاً قد هزل جسمه، ولا بد انه عانى وجرب الألم.

تقدم مقترباً منها، ولكنها قالت محذرة: «لا تقترب مني كثيراً، فأنا مغطاة بالدقيق وهو سيفسد بذلتك. لقد سمعت انكم جميعاً عدتم لقضاء العيد، هل عدت منذ وقت طويل؟ وكلاريسا؟ هل هي بخير...؟»

كانت تثرثر دون انقطاع، محاولة بذلك ان تملأ الفراغ المؤلم في داخلها، محاولة أن تمنع نفسها من الانفجار بالبكاء واخباره بأن ما يمنعها من العيش معه لم يعد مهماً.

اجابها بهدوء: «لقد ركبنا الطائرة هذا الصباح عبر الاطلسي، وكلاريسا بخير تام. تانيا أرجوك...»

سكت عندما دخلت لوسي المطبخ، وهي تقول له بلهجة خطيرة: «هاك بطاقة العيد، فقد قالت والدتي انه بإمكاني

www.liilas.com

ان أرسل اليك واحدة، ولكن بإمكاني كذلك ان اعطيها لك.»

انحنى جايمس ورفعها عن الأرض وهو يقول لها: «ولماذا لا تحفظينها لي عندك حتى يوم العيد؟» ثم نظر مباشرة إلى تانيا وهو يتابع قوله لها بهدوء: «أريدك ووالدتك ان تمضيان العيد معي في منزلي، يا لوسي، هل تحبين ذلك؟»

سألته لوسي: «وهل رابير سيكون هناك؟»

ضحك قائلاً: «نعم، رابير سيكون هناك.»

كيف يفعل هذا بها؟ كيف يجرؤ على استغلال لوسي ضدها بهذا الشكل؟ فهو يعلم ان ذلك ليس بمقدورها، وان عليها ان لا تقبل بمثل هذه الدعوة.

ابتدأت تقول بشكل رسمي وجاد: «أنا آسفة، ولكنني أرى ذلك مستحيلاً...»

سكتت، ثم اخطأت بالنظر إليه، ذلك ان الألم، والحب، والعذاب في عينيه التوى له قلبها ألماً وجعلها تريد ان تصيح به بأن لا شيء هناك ذا أهمية سواه.

قال لها: «ليس ثمة شيء مستحيل.»

إلى جانبها كانت لوسي تتوسل إليها ان تقول نعم.

رغم ان موافقتها على ذلك كانت آخر شيء تريده، إلا انها وجدت نفسها تقول وهي ترتجف، تلك الكلمة نعم وانهما سيمضيان العيد في منزله ساحة اليمام معه.

بعد ذلك وقد بدا وكأنها وقعت في الفخ، أصر جايمس على القيام بالترتيبات بسرعة، انه سيحضر لأخذهم ليلة العيد، وسيقيمان معه إلى ما بعد العيد.

فقالت محتجة: «انها مدة طويلة.»

«مدة طويلة؟»

كانت الإبتسامة التي منحها لها قصيرة مرة، وفي داخلها صوت صغير ثائر يطلب منها الإذعان. وان تسمح لنفسها بهذه الفترة القصيرة كآخر مدة تمضيها معه.

عندما أخبرت آن، وهي تعتذر لعدم تمكنها من تلبية دعوتها لها في اليوم السابق للعيد، لم يبد على صديقتها ذرة من الاستياء وهي تقول لها بصراحة دون ان تعرف الوضع: «إنني مسرورة لعودتك أخيراً إلى عقلك.»

لم تقل تانيا شيئاً، ذلك انها لم تقبل دعوته لقضاء العيد معاً إلا عن ضعف منها دفعها إلى الإذعان، وحيث ان ليلة العيد ستكون الأحد، لم يكن ثمة ضرورة لفتح المتجر، ولكنها مع ذلك اجفلت عندما وصل جايمس أثناء تناولها ولوسي، طعام الإفطار.

لحسن الحظ كانتا قد حزمتا حاجياتهما ولفت لوسي الهدية التي كانت لوسي اصرت على اختيارها لجايمس بنفسها، وكانت تانيا بينها وبين نفسها، غير واثقة من ان هذه الهدية، التي تمثل كلباً خزفياً هو صورة طبق الأصل عن رابير، هذه الصورة ستعجبه، ولكن قلبها لم يطاوعها على أن تقول لها ذلك.

لم تكن هي نفسها قد أحضرت له سوى ربطة عنق من الحرير.

سألها: «هل أنت بخير؟»

«طبعاً، لماذا لا أكون؟»

لم يقل شيئاً، ولكنها رأت عينيه تقيسان هزالها.

www.hilas.com

فقالت له: «انك جئت مبكراً.»

قال باسماً وهو ينظر إلى لوسي: «ذلك لأنني بحاجة إلى مساعدة لوسي في تزيين المكان.»

عندما خرجوا من الشقة، سألته وهي ترى ابنتها تدس يدها في يده بثقة: «هناك الكثير من البالونات؟»

أجاب: «نوعاً ما.»

فقالت لوسي: «حسناً، هذا يسعدني جداً.»

كان الثلج قد تساقط الليلة الماضية ما جعل أقنية المنزل بيضاء الحواشي، وحبست لوسي لذلك أنفاسها سروراً، ولكن قلب تانيا انقبض مكتئباً.

حدثت نفسها انه عليها ان تجعل هذه العطلة سارة للغاية. عليها ان لا تختزن في ذاكرتها منها سوى الذكريات والأفكار السعيدة، ليس لأجل لوسي فقط بل لأجل جايمس أيضاً.

أرغمت نفسها على التركيز على ذلك بينما كان جايمس يوقف السيارة ثم يتقدم منها يساعدها على النزول.

رفعت إليه نظرها وهي تفكر بمبلغ حبها له، كانت قد سبق ولاحظت حذره من الإقتراب منها أو لمسها، وذلك لكي لا يعذبها أو يعذب نفسه من تذكر ما ليس بإمكانهما ان يحصلا عليه.

فتح جايمس الباب الأمامي ثم أدخلهما أمامه، وإذا بتانيا تجمد في مكانها ذاهلة وهي ترى كلاريسا هناك.

ألقت على جايمس نظرة اتهام مرة، فهي لم تتوقع هذا ابداً. حتى انها لم تسأله عن كلاريسا لانها افترضت انه لن

يجازف أبداً باستضافتهما معاً في نفس المنزل، ومع ذلك أدركت انه كان عليها ان تسأله، أو مجرد استعلام عن المكان الذي ستمضي فيه كلاريسا ايام العيد.

بادلها جايمس نظرتها تلك، شاعراً بغضبها وقنوطها، فتقدم منها خطوة لكنها تراجعت إلى الخلف، شاعرة بالاستياء والكدر.

كانت على وشك أن تنادي لوسي، مصرة على ان يعيدهما جايمس إلى البيت على الفور، عندما رأت كلاريسا تقترب من ابنتها، وعلى الفور همت بالتقدم إلى الأمام إلا ان جايمس أمسك بذراعها يمنعها من ذلك.

عندما حملقت فيه ثائرة، سمعت كلاريسا تقول بلطف: «مرحباً يا لوسي، لا أدري اذا كنت تتذكرينني.»

أجابت لوسي بشيء من الخجل: «نعم، ان رابير يعيش في بيتك، أليس كذلك؟»

فحدقت إليه تانيا وقد تسمرت في مكانها لصمته هذا، واخذ قلبها يخفق غضباً وخوفاً، كيف يفعل جايمس هذا بها؟ ولماذا؟ وما الغرض من هذه اللعبة الخطرة؟

كانت كلاريسا تجيب لوسي: «هذا صحيح، فرابير يعيش عندنا.»

ثم استدارت إلى تانيا تحييها بحرارة: «تانيا، ما اجمل ان اراك، لشد ما انا متشوقة إلى اجتماعنا هذا، كما ان الولدين متشوقان للتعرف إلى لوسي.»

حدقت تانيا إليها، غير قادرة على تصديق ما تسمعه اذناها، غير قادرة على تصديق عينيها وهي تركزهما على هذه المرأة الجديدة الهادئة إلى حد لا يصدق والتي لها وجه

www.fiilus.com

كلاريسا وصوتها، ولكنها تبدو امرأة مختلفة جداً عن تلك التي تتذكرها.

قبل ان تتمكن تانيا من قول أي شيء، فتح باب غرفة الجلوس وخرج منه ولدا كلاريسا وبرفقتهما نيكولاس والكلب رابير، بينما انحنت لوسي مبتهجة بالكلب الذي يبدو انه تذكرها، كانت كلاريسا تقول لزوجها: «نيكولاس حبيبي، لماذا لا تأخذ لوسي والولدين للنزهة؟ اظن هناك شجرة فاكهة بجانب البحيرة.»

اتجهت نحو تانيا تمسك بذراعها قائلة: «سآخذك إلى غرفتك، يا تانيا.»

سارت تانيا معها كأنها في حلم، ثم وقفت عند السلم حيث رمقت جايمس بنظرة مضطربة غاضبة.

وعندما صعدتا إلى الطابق العلوي معاً، كانت كلاريسا ماتزال تثرثر برقة ولطف وصوت مطمئن بحيث أدركت تانيا وقد تملكها الانفعال، ان المرأة كانت تعني بهذا الكلام التخفيف عنها، ما الذي يحدث هنا؟ لماذا لم ينبهها جايمس لذلك؟

«لقد وضعك جايمس في هذه الغرفة.» قالت كلاريسا ذلك وهي تفتح احد الأبواب ثم تدخل ما لم تجد تانيا معه سوى أن تتبعها.

سمعت كلاريسا تقول: «هذه الغرفة كانت أصلاً، غرفة النوم الرئيسية في المنزل، وطبعاً أتوقع انك ستطلبين إعادة دهنها وزخرفتها، انني اعلم أن والدتي فعلت ذلك حين تزوجت والد جايمس، انه منزل جميل، أليس كذلك؟ مع انه بحاجة إلى ذوق نسائي، عندما كنا نعيش هنا، كانت والدتي

تضع زهوراً في كل غرفة يومياً، كانت سعيدة جداً هنا، نحن الاثنتان كنا كذلك، اظن بعد تلك المدة الطويلة التي أمضيناها في الوحدة والفقر من دون والدي، كان المجيء والعيش هنا...»

سكتت عندما حدّقت تانيا إليها وهي تسألها بصوت أجش: «ماذا تقصدين بقولك انني سأطلب إعادة دهنها وزخرفتها؟»

استدارت كلاريسا ونظرت في عيني تانيا مباشرة، ثم قالت بهدوء: «إنني اعلم ما بينك وبين جايمس يا تانيا، انني لا انكر انني شعرت في البداية بالهجران، والحرمان... لقد كنت غاضبة جداً جداً، إلى حد الهستيريا في الواقع، وكذلك غيوراً إلى حد بالغ، ولكن الدكتور مارتن وهو طبيبي المعالج في المستشفى في كاليفورنيا... حسناً، لقد ساعدني في ان اعتمادي الكلي على جايمس كان نتيجة شعوري الخاطىء نحو والدي... من احساسي البالغ بالخسارة والشعور بالذنب حين هجرني ووالدتي...

لقد ساعدني على ان افهم ان في داخلي مشاعر دفينة مازالت هناك منذ ذلك الحين والتي كانت تسمم حياتي بأجمعها، انني لن أبعث السأم إلى نفسك بكل هذه التفاصيل عن علاجي، وعن نضجي، إذا اعجبك هذا الوصف، لم يكن العلاج دوماً سهلاً أو دون ألم، ولكنني اشعر بأنني استفدت منه، قد لا اصبح ابداً تلك المرأة الخالية من الغيرة، وقد أميل دوماً إلى شعور التملك نحو أولئك القريبين مني، ولكنني اصبحت أعرف، على الأقل تلك العقدة في داخلي، وقد تعلمت كيف اعالجها.

لقد ساعدني الدكتور مارتن على ان اتفهم كيف ان غيرتي كانت تدمّر ليس نفسي فقط، ولكن كل من حولي، وكيف انني كنت أدمرهم أثناء تدميري لنفسي. كنت مسرورة جداً لاستجابتي الحسنة للعلاج. انني لم افهم سبب ابتعاد جايمس عني... وما يبدو عليه من التعاسة، إلى ان اخبرني عنك. لا انكر انني شعرت في البداية بالإستياء والمرارة، انني لن اخبرك عن الأمور التي كنت خططت لها، عن الأشياء السافلة القاسية التي قلتها، ليس فقط عنك بل عن جايمس أيضاً، حتى انني قلت له ان عليه ان يختار بيني وبينك.»

كاد يتهدج صوتها، ولكنها تابعت بثبات: «ما كان احقر ما قمت به، وعندما قال لي انه سيختار انت دوماً وأبداً، كنت أستحق ذلك، ثم اخبرني بانك رفضت ان تفرضي عليه مثل ذلك الإختيار، وانك كنت من الحكمة بحيث أدركت انني سأحتل مكاناً في قلبه على الدوام، ثم اخبرني بانه لا يستطيع العيش من دونك، وانك ضرورية بالنسبة إليه، كالهواء نفسه.

لقد جاهدت طويلاً لكي اتقبل هذا الأمر، يا تانيا، وان اتقبل ليس فقط ظاهراً، بل في اعماقي أيضاً، ان لامرأة أخرى أهمية عند جايمس اكثر مما لي، وانه سيكون لك دوماً في قلبه المكان الأول، سواء كنت معه أم لا.

نعم، كان تقبلي لذلك ذا صعوبة بالغة، وكان نيكولاس هو الذي ساعدني، وهو الذي اخبرني بأنني أدمر جايمس، وأنني أؤذي شخصاً أدّعي بانني أحبه، سألني عما سيحدث عندما يكبر الولدان؟ هل سأمنعهما من ان يجدا السعادة كما

أمنع الآن جايمس؟ هل سأجعلهما يهربان مني، وأجعلهما يكرهانني؟

لقد اتهمته بأنه لا يحبني. فأخبرني بأنه احبني على الدوام، وانه تزوجني رغم شكوكه في انني احب شخصاً آخر، حتى انه اخبرني...» وسحبت نفساً عميقاً. ثم تابعت: «اخبرني بانه في بعض الأحيان كان يشك في ان أليك هو ابنه حقاً، ولكنه كان يحبه لأنه ابني.

لقد صدمني ذلك للغاية، لم يكن لديّ فكرة عن ذلك، فأليك هو ابنه طبعاً، وأنا أيضاً أحبه... لقد أحببته على الدوام، وكان حبي لشخص آخر قبل الزواج لم يكن يعني لي شيئاً، ولكنني قلت العكس لنيكولاس لأنني كنت اشك في حبه لي.

ومنذ اسبوعين، دخلت إلى غرفة جايمس، فوجدته جالساً هناك ورأسه بين يديه، والدموع تنهمر من عينيه. لقد صدمني ذلك، فقد كان دوماً قوياً منيعاً، لم أره يوماً بهذا الشكل من قبل، لم اعرفه بهذا الضعف. سألته عن أمره، فاخبرني بانك كنت ترفضين التحدث إليه، وانك رفضت الزواج منه بسببي، اصحيح هذا يا تانيا؟»

نظرت تانيا اليها، لم يكن لديها فكرة عن كيفية التعامل مع كلاريسا الجديدة هذه، أو ماذا تقول لها.

عندما لاذت بالصمت، قالت كلاريسا بصوت غير ثابت: «حسناً جداً، سألقي عليك سؤالاً آخر. هل تحبين جايمس؟»

فضحها ما ارتسم في عينيها قبل ان تقول شيئاً، فعادت كلاريسا تقول برقة: «انك تحبينه وهو يحبك. ان مكانك هو مع جايمس كما ان مكاني هو مع زوجي، انني اعلم الآن انه

www.liilas.com

سيكون لي دوماً مكان في قلب جايمس، وأنه بزواجه لن ينبذني من حياته... أريدك ان تعلمي يا تانيا أن سعادة جايمس هي اهم عندي بكثير من مخاوفي وغيرتي، ان جايمس بحاجة إليك اكثر بكثير مما هو بحاجة إليّ، وانا الآن قوية إلى حد يكفي لكي أدعه يذهب، وأن اعيش حياتي مع زوجي وأولادي وان أدع جايمس يعيش حياته معك... ولكي أثبت ذلك...» أدارت ظهرها لتانيا لتسير إلى النافذة حيث حدقت منها إلى الخارج لعدة ثوانٍ قبل ان تقول بصوت أجش: «فقط لكي أثبت ذلك، فقد قررنا نيكولاس وانا ان نبدأ حياة جديدة معاً في كاليفورنيا، لقد احببنا، نحن الاثنين، الحياة هناك، والدكتور مارتن يعتقد ان هذا خطوة جيدة مني، وان ابتعادي عن جايمس كل تلك المسافة هي علامة جيدة على شفائي، انني لا اريد ان اقول انني لن أفتقده، وأن هنالك أوقاتاً لن يمكنني فيها منع نفسي من رفع سماعة الهاتف والحديث إليه، ولكنني اعدك بأن ليس لك ان تخافي من ان أي منكما أو أي ولد لكما، سواء كان لوسي أو من قد تنجبينه من جايمس، سيتألم بأي شكل كان بسببي، عندما عدت إلى عقلي وأدركت ما فعلته نحو لوسي... فكرت في انني كنت ساقتل أي شخص يحاول ان يلحق الأذى بأي من ولدي، لقد تمنيت ان أنهي حياتي بيدي عندما أدركت ما كنت فعلت، أولاً بدفعي نقوداً لشخص لكي يحطم واجهة متجرك... ولكنني لن اطلب منك المعذرة لهذا الأمر، فكيف بإمكانك ذلك؟ أما ان تفضلي التضحية بسعادتك على أن تطلبي من جايمس ان ينبذني من حياته، أما ذلك فهو اكثر مما أستحق.»

قالت تانيا وهي ترتجف وقد وجدت صوتها أخيراً: «انه يحبك كثيراً، فكيف بإمكاني ان اطلب منه الابتعاد عن شقيقته ونسيانها؟»

قالت كلاريسا بحزن: «ولكنني انا، بدون تفكير، طلبت منه... ذلك طلبت، بل أمرته بأن ينبذك. انني الآن افكر في الأذى الذي قمت به، والشقاء الذي سببته، ليس فقط لك ولجايمس، ولكن لنيكولاس أيضاً وللولدين كذلك. انني أنوي ان اصلح كل ذلك بالنسبة إليهم، لكي أريهم انني احبهم، وان بامكاني ان احبهم بأنانية أقل. كم انا محظوظة... فقد كنت على وشك ان افقد نيكولاس.»

قالت تانيا مؤكدة بحرارة: «ليس بسببي.»

فابتسمت كلاريسا: «كلا، ليس بسببك، ولكن بسبب امرأة ليس لها قيمك واخلاقك، وكنت استحق ذلك، كنت احياناً بالغة اللؤم نحوه.»

قالت تانيا: «لقد كنت مريضة.»

«لقد كان مرضي ينبع من ذاتي، كلا، فأنا لا اشعر بأي عطف على نفسي، ولماذا افعل هذا؟ علي ان ادخر عطفي لضحاياي، لأجل كل اولئك الذين اذيتهم أثناء مرضي، انك ستتزوجين جايمس، أليس كذلك؟»

ترددت تانيا، كان هذا كثيراً عليها فكأنه حلم غير حقيقي من احلامها المستحيلة الحافلة بالعذاب.

«أنا...»

وعدتها قائلة: «أعدك بأن لا يصدر عني ما يخيفك، لا أنت ولا لوسي.»

حدقت تانيا إليها وقد شحب وجهها، وفجأة اكتشفت انها

www.hifas.com

كانت تبكي، إذ صدرت عنها شهقة عالية، وفي اللحظة التالية كانت بين ذراعي كلاريسا وهذه تخفف عنها، وتطمئنها، فجأة حدثت نفسها بأن ذلك صحيح وان ليس لها ان تخاف على أسرتها من شقيقة جايمس.

قالت لها هذه برقة: «أرجو ان لا يراك جايمس وأنت تبكين. لابد ان الإضطراب قد تملكه الآن وهو يفكر بما عسى أن يكون حدث، كان هو سيحدثك بكل شيء، ولكنني أردت ان اخبرك بنفسي، لقد رأيت انك قد تصدقينني.»

قالت تانيا وهي ترتجف: «نعم، انا اصدقك، ولا تظني انني لا ادرك مبلغ صعوبة الأمر بالنسبة اليك، لقد كان جايمس اخبرني عن... عن طفولتك وعن والدك.»

«نعم، هذا سبب آخر لجنوني عندما ظننت أنني سأفقد نيكولاس بسببك. فقد طالما أقسمت بأنني لن اسمح بأن يعاني طفل لي ما سبق وعانيته انا، ولكنني كنت أنا التي اعرض زواجنا للخطر، مجازفة بأولادي... ولوسي... أتراها...؟»

قالت تانيا تطمئنها: «كلا، ان صنيعك معها لم يترك أثراً على نفسيتها.»

«يسعدني سماع ذلك.» ضغطت على يد تانيا وهي تقول لها برقة: «لماذا لا تذهبين للبحث عن جايمس ونشله مما يعانيه من تعاسة؟ سأخرج انا واحضر الآخرين، هل من الممكن ان تأتي لوسي معنا هذه الليلة إلى منزلنا، أو؟»

كان هذا هو الامتحان الحقيقي. نظرت تانيا إليها وهي تتساءل عما إذا لديها القوة على ان تتظاهر بالثقة المطلوبة... وعما اذا كان بإمكانها ان تأتمن هذه المرأة

التي أرادت ذات يوم ان تؤذيها بشكل خطر، ان تأتمنها على ابنتها الغالية.

ابتدأت كلاريسا تقول وهي تشيح بوجهها عنها: «كلا... هذا ليس بإمكانك طبعاً...»

قاطعتها تانيا قائلة وهي ترتجف: «اتظنين لوسي ستصفح عني إذا انا حرمتها من قضاء ليلة بأكملها مع عزيزها رابير؟»

فجأة، اخذت الاثنتان تضحكان وتبكيان في وقت واحد، والواحدة منهما تحتضن الأخرى. ادركت تانيا دون ريب، انها وهذه المرأة، ستصبحان يوماً ما أعز صديقتين، وان هذه العلاقة التي بدأت لتوّها بينهما ستزدهر بها حياتهما إلى الأبد.

* * *

أمضى جايمس وتانيا ليلة العيد بأكملها بمفردهما. أمضياها جالسين امام المدفأة في غرفة الجلوس، يضعان الخطط للمستقبل.

كان جايمس يريد الزواج بأقرب ما يمكن، وذلك قبل ان تعود كلاريسا ونيكولاس إلى اميركا في السنة الجديدة.

قال لها: «اننا سنكون سعداء جداً، وسنعوض كل لحظة من التعاسة والحزن التي عانيناها.»

في صبحية العيد، بعد انتهاء بهجة فتح الهدايا، وقبل ان يجلس الجميع إلى الغداء الذي كانت تانيا وكلاريسا قد قامتا بإعداده، قال جايمس بابتسامة عريضة: «لدينا تانيا وانا شيئاً سنخبركم به.»

www.liilas.com

كانت تبكي، إذ صدرت عنها شهقة عالية، وفي اللحظة التالية كانت بين ذراعي كلاريسا وهذه تخفف عنها، وتطمئنها، فجأة حدثت نفسها بأن ذلك صحيح وان ليس لها ان تخاف على أسرتها من شقيقة جايمس.

قالت لها هذه برقة: «أرجو ان لا يراك جايمس وأنت تبكين. لابد ان الإضطراب قد تملكه الآن وهو يفكر بما عسى أن يكون حدث، كان هو سيحدثك بكل شيء، ولكنني أردت ان اخبرك بنفسي، لقد رأيت انك قد تصدقينني.»

قالت تانيا وهي ترتجف: «نعم، انا اصدقك، ولا تظني انني لا ادرك مبلغ صعوبة الأمر بالنسبة اليك، لقد كان جايمس اخبرني عن... عن طفولتك وعن والدك.»

«نعم، هذا سبب آخر لجنوني عندما ظننت أنني سأفقد نيكولاس بسببك. فقد طالما أقسمت بأنني لن اسمح بأن يعاني طفل لي ما سبق وعانيته انا، ولكنني كنت أنا التي اعرض زواجنا للخطر، مجازفة بأولادي... ولوسي... أتراها...؟»

قالت تانيا تطمئنها: «كلا، ان صنيعك معها لم يترك أثراً على نفسيتها.»

«يسعدني سماع ذلك.» ضغطت على يد تانيا وهي تقول لها برقة: «لماذا لا تذهبين للبحث عن جايمس ونشله مما يعانيه من تعاسة؟ سأخرج انا واحضر الآخرين، هل من الممكن ان تأتي لوسي معنا هذه الليلة إلى منزلنا، أو؟»

كان هذا هو الامتحان الحقيقي. نظرت تانيا إليها وهي تتساءل عما إذا لديها القوة على ان تتظاهر بالثقة المطلوبة... وعما اذا كان بإمكانها ان تأتمن هذه المرأة

التي أرادت ذات يوم ان تؤذيها بشكل خطر، ان تأتمنها على ابنتها الغالية.

ابتدأت كلاريسا تقول وهي تشيح بوجهها عنها: «كلا... هذا ليس بإمكانك طبعاً...»

قاطعتها تانيا قائلة وهي ترتجف: «اتظنين لوسي ستصفح عني إذا انا حرمتها من قضاء ليلة بأكملها مع عزيزها رابير؟»

فجأة، اخذت الاثنتان تضحكان وتبكيان في وقت واحد، والواحدة منهما تحتضن الأخرى. ادركت تانيا دون ريب، انها وهذه المرأة، ستصبحان يوماً ما أعز صديقتين، وان هذه العلاقة التي بدأت لتوّها بينهما ستزدهر بها حياتهما إلى الأبد.

* * *

أمضى جايمس وتانيا ليلة العيد بأكملها بمفردهما. أمضياها جالسين امام المدفأة في غرفة الجلوس، يضعان الخطط للمستقبل.

كان جايمس يريد الزواج بأقرب ما يمكن، وذلك قبل ان تعود كلاريسا ونيكولاس إلى اميركا في السنة الجديدة.

قال لها: «اننا سنكون سعداء جداً، وسنعوض كل لحظة من التعاسة والحزن التي عانيناها.»

في صبحية العيد، بعد انتهاء بهجة فتح الهدايا، وقبل ان يجلس الجميع إلى الغداء الذي كانت تانيا وكلاريسا قد قامتا بإعداده، قال جايمس بابتسامة عريضة: «لدينا تانيا وانا شيئاً سنخبركم به.»

www.liilas.com

أضافت تانيا: «وكذلك لدينا طلب منكما.»

بعد ان اعلنا خبر زواجهما القريب، سأل نيكولاس: «وما هو الطلب؟»

أجابت تانيا وهي تنظر إلى كلاريسا باسمة: «هو أن تكون أنت وكلاريسا شاهدي زواجنا.»

تمت

www.liilas.com
bebawebas